ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1094 - الجمعة 4 شوال 1425 هـ - الموافق 17 دجنبر 2004

القرآن والمرتل

نظرة إجمالية عن موضوعات القرآن الكريم

لماذا يفترون على عمرو بن العاص؟

كفى بالموت واعظا

عبادة الحج ومقاصدها

التحذير من تكفير المسلمين

أثر زواج معتنق الإسلام على الأسرة بالمغرب

من عجائب القرآن

الإسلام ساوى بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات

فضل المدينة المنورة

لاشك أن الله تبارك وتعالى خص البعض من بقاع أرضه بفضل عظيم، وقد نالت المدينة المنورة حظا وفيرا من هذا الفضل باختيار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لها مهاجرا له والتي كانت تسمى في عهد الجاهلية(يثرب) فانطلق من هذه البقعة فتح الإسلام وعم نوره منها وتوالت انتصاراته الخالدة من تلك الحاضرة الإسلامية مزرعة الإيمان، ومحل مهبط الوحي ورصيد عز الإسلام وغرة تاريخ أمتنا، وقد سماها الله تبارك تعالى طابة لطيب أهلها، ونبل ساكنتها، وقد أمر الله نبينا بسكناها، وهذه أعظم خاصية تظفر بها هذه المدينة التي جعل الله لها قوة فائقة بإقامة سيد البشرية بها وخلفائه الراشدين من بعده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد) وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى سمى المدينة طابة) رواهما الشيخان.

وجعل في هذه البقعة المباركة قوة تدفع عنها من لا يصلح وتبعده عن مكانها الطاهر، فعن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه على الإسلام فجاء من الغد محموما فقال : (أقلني) فأبى ثلاثا مرارا فخرج الأعرابي فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها) لأن المدينة يتوجه إليها الإيمان بشوق وولع ورغبة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) روى الحديثين المشار إليهما الشيخان والترمذي. فزيارة قبره صلى الله عليه وسلم والتوجه إلى المدينة المنورة حرمه ومحل روضته الشريفة خيره كثير وأجره وفير، وهي آخر مدينة إسلامية تبقى محفوظة بإذن الله ومحصنة من غوائل الدهر وعوادي أهله فضلا من الله ومنة، ولما امتازت به عن سائر بقاع العالم من شرف وجود روضته الشريفة بها.

فعن أبي هريرة (ض) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة) رواه الترمذي وحسنه.

وللمدينة أسماء كثيرة لفضلها وأهميتها ومكانتها فهي تسمى: طيبة، وطابة، والمدينة، وطابب ككتاب، ودار الأبرار، ودار الأخيار، ودار الإيمان، ودار السنة، ودار السلامة، ودار الهجرة، ودار الفتح، ومن شرف المسمى كثرة الأسماء، وهي حرم من حرمات الله وقد بين عليه الصلاة والسلام مدى قيمتها في بعض أحاديثه.

فعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة) رواه مسلم.

وفي رواية لمسلم: (اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرما وإني حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها ألا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف).

ولأبي داود: (لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أنشدها). والمدينة محروسة بكرم الله ومحصنة بفضله من كل ما يشوش عليها وعلى ساكنتها.

فعنه عليه الصلاة والسلام: (لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انصاع كما ينصاع الملح في الماء) رواه البخاري ومسلم. ولفظه: (من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء) وقد شرف الله المدينة بمرقد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بها، وبنزول الكثير من الوحي الإلهي في أرضها المباركة، ويكفيها شرفا ما دعا لها ولأهلها به سيد الأولين والآخرين، فمن دعائه ما جاء في الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وأنقل حماها على الجحفة).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا نظر إلى جبل أحد وهو جبل بضاحية المدينة يقول: (إن أحدا جبل يحبنا ونحبه) رواه الشيخان، والمدينة خير لساكنتها في الحياة والممات ففي الحديث: (من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها).

وهذه أكبر بشارة لمن بالمدينة ولساكنيها، وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام بالمدينة أكبر غنم وأعز مكسب وأحلى عمل وأروحه على النفس، فعن أبي هريرة (ض) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) رواه أبو داود والبيهقي.

وعنه عليه الصلاة والسلام: (من زار قبري وجبت له شفاعتي) وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة) وفي رواية: (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) روى هذه الأحاديث القاضي عياض في الشفا.

نسأل الله أن يرزقنا محبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن يوفقنا لما فيه رضاه من قول وعمل.

وإن شد الرحال لزيارة أفضل الأنبياء والمرسلين مطلوب منا لما فيه من الخير العميم، فعلى حجاج المسلمين وكل معتمر وزائر لتلك البقاع المقدسة ألا يترك فرصة زيارته عليه الصلاة والسلام وأن يتحلى بالآداب المحمدية والأخلاق المصطفوية عندما تطأ قدماه ذلك الحرم الآمن المصون من رب العالمين.

اللهم وفقنا واهدنا لما فيه رضاك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين إنك مجيب دعوة الداعي إذا دعاك.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

حديث مفيد عن الحجر الأسود

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ من المعلوم أن الحجر الأسود بعلو قدره وقدسيته يمثل ركنا أساسيا من أركان الكعبة المشرفة، وله مكانة سامية في قلوب الناس في الجاهلية والإسلام، ولمكانته المرموقة عند العرب كانوا يتنافسون في لمسه وتقبيله، وأكد الإسلام مكانته في النفوس، وقبله النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا عنده باكيا خاشعا ضارعا إلى الله تعالى، وبسبب هذه المكانة السامية وقع التنافس على الاستئثار به، وعلى التشرف بالاقتراب منه، ولمسه وتقبيله... وكلنا درس في السيرة النبوية أن قريشا تنافست على وضعه في مكانه عند تجديدهم لبناء الكعبة، وظلوا في جدال على ذلك أياما، إلى أن اهتدوا لتحكيم أول داخل، فكان هذا الداخل هو المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي بسط رداءه ووضعه فيه وأمسكت كل عشيرة بطرف، إلى أن وضعه صلى الله عليه وسلم في مكانه، وجعله الله في الإسلام بداية لطواف المسلمين حول بيته الحرام في الحج والعمرة وطواف التطوع، وجعل تقبيله ولمسه سنة لمن استطاع ذلك، ومن لم يستطع فبالإشارة إليه مع استقباله.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر واستلمه، ثم وضع شفتيه وبكى طويلا، فإذا عمر يبكي طويلا، فقال عمر: هنا تسكب العبرات" (رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عمر أكب على الركن. الحجر الأسود. فقال: إني لأعلم أنك حجر، ولو لم أر حبيبي صلى الله عليه وسلم قبلك، واستلمك ما استلمتك ولاقبلتك "لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة" (رواه الإمام أحمد وغيره)

يقول التجيبي في بداية حديثه عن الحجر الأسود، جعلنا الله ممن استلمه بحق، ثم يقول : طوله ثلاثة أشبار، ويقال أكثر من ذلك، ويقال: عرضه ثمان وعشرون اصبعا، وطول مايظهر الآن منه شبر، وعرضه ثلثا شبر، وهو ملصق في الركن الناظر إلى المشرق، وقد غيب أصله في الجدار، وبينه وبين الأرض ستة أشبار، غير نحو سبع أصابع، بحيث يطأطئ لتقبيله الطويل، ويتطاول لذلك القصير... والحجر الآن مصدع مكسور ملصق بالفضة، يقال: إن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، كان الذي ألصقه وشده بالفضة وأدخله في الركن، ثم تزعزع بعد ذلك فشده أمير المؤمنين هارون الرشيد، وثبته في مكانه، فبقي كذلك إلى أن دخل عدو الله أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنابي القرمطي لعنه الله مكة، وكان دخوله إياها في يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، فقتل في المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة، مابين رجال ونساء، وهم متعلقون بأستار الكعبة، وردم بهم زمزم..."

وهذا الحدث الأليم الذي يشير إليه التجيبي ذكره غير واحد من المؤرخين، كابن الأثير في كتابه الكامل، وابن كثير في البداية والنهاية، والسيوطي في تاريخ الخلفاء، وغيرهم، وخصص له ابن كثير مبحثا جمع فيه الأخبار المتعلقة بهذا الحدث المروع، وتحدث عن الصلة بين العبيديين الفاطميين بشمال افريقيا، وبين القرامطة، وأنهم ملاحدة كفار، يدعون الألوهية، ويهزءون بالقرآن، وبصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، ونقل بعض أقوالهم، وذلك بالجزء الحادي عشر، في أحداث سنة:317هـ.

وذكر السيوطي هذا الحدث عند كلامه عن الخليفة المقتدر بالله العباسي، ويقول: نقل القرمطي الحجر الأسود من مكة إلى هجر (×) وأنه لم يفلح بعد هذا العمل الشنيع، وتقطع جسده بالجدري: وأتى التجيبي ببعض الحكايات المتعلقة بهذا الموضوع إلى أن يقول: "ثم رد الحجر من عند عدو الله القرمطي، وأهلكه الله وقومه، وأعيد إلى مكانه، وذلك يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وشهد بمكة صرفه إلى موضعه من أهل الأندلس ثم من أهل قرطبة أيضا أبو عبد الله محمد بن عبد الملك اللخمي، ذكر ذلك ابن الفرضي في ترجمته، وكان هلاك عدو الله بالأحساء يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بالجدري... فأراح الله منه البلاد والعباد، وبقي الحجر في موضعه سالما إلى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، فقال رجل سوء، ممن كان وصل في قافلة مصر في اليوم الذي يتعجل فيه الحجاج من منى إلى مكة، والناس في صلاة الظهر بالمسجد الحرام، فانتهز الفرصة باشتغال الناس بصلاتهم، فقصد الحجر الأسود، وبيده دبوس حديد فضربه ضربات بان بها من وسطه ثلاث قطع، ثم ولى ذاهبا يريد ناحيه باب الصفا، فبادره الناس فقتل مكانه،... وردت تلك القطع إلى موضعها، وسد الحجر باللجين، فهو الآن مطوق بالفضة الخالصة، وقد أحدق بياضها بسواده، حتى صار شبه عين الإنسان...

ثم ينتقل التجيبي بعد هذا، لذكر الآثار الواردة في الحجر الأسود، ويرويها بسنده على عادته، إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، " إن الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم".

"قال الترمذي حسن صحيح" ثم ينقل حديثا آخر بسنده إلى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان الحجر من ياقوت الجنة، فمسه المشركون، فاسود من مسحهم إياه" إلى أن يقول: وقد اعترض على الحديث المذكور من لاعلم له، فقال: "مااسودته خطايا المشركين، ينبغي أن يبيضه توحيد المؤمنين، فأجابه ابن قتيبة رحمه الله بأن قال: "لو شاء الله تعالى لكان ذلك، ثم ماعلمت أيها المعترض أن السواد يصبغ ولاينصبغ، والبياض يصبغ ولايصبغ، وأجاب أيضا عن ذلك حفاظ البغاذذة المتأخرين فقال: بقاء أثر الخطايا فيه وهو السواد أبلغ في باب العبرة والعظة من تغير ذلك، لتعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم، فوجب لذلك أن تجتنب... إلى أن يقول: وتقبيل الحجر سنة متبعة، ويروي الأثر الوارد في ذلك، وقد سبقت الاشارة إليها، ويقول: ولقد عظمت العناية بالحجر الأسود، وهو خليق بذلك، وروي أن الدعاء عنده مستجاب، ومن خواصه أنك تجد عند تقبيله رطوبة يتنعم بها الفم حتى يود المقبل له ألا ينزع فمه عنه، ووجدنا ذلك عند تقبيله مرات لانحصيها، تقبل الله ذلك، وأخلصه لوجهه الكريم، وأعادنا إليه على السنة في ذلك".

التجيبي رحمه الله يتلذذ بذكر هذه المعالم الدينية، ويذكر ماورد في قدرها ومكانتها من آثار صحيحة، ويطلب من الله القبول، في كل مناسبة، وعند كل منسك، بصفاء روحي ووجدان فياض.

ويقول عن الحجر الأسود: روي أنه الحجر الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه، وبينه وبين باب الكعبة المعظمة زادهما الله تشريفا نحو عشرة أشبار، ويسمى جميع الموضع الذي بينهما الملتزم، والمدعى المتعوذ، سمي بذلك لا لتزامه للدعاء والتعوذ، وفي الموطأ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الملتزم مابين الركن والباب، كذا للباجي والمهلب، وابن وضاح، وابن بكير، ولسائر رواة يحيى بن يحيى الليثي أنه ما بين الركن والمقام، وهو وهم، وإنما هو الحطيم، ويأتي ذكر ذلك بعد الملتزم، والله تعالى أعلم" والملاحظ أنه كلما طال الوقت بالتجيبي في مكة المكرمة ازداد لوعة واشتياقا، ودعا الله أن يعود مرة ثانية، ضاربا صفحا عما لقيه في الطريق من المصاعب والمحن، لعمق إيمانه، وصدق إخلاصه، وصفاء سريرته ونيته، نجده وهو يتحدث عن هذه المشاهد، وكأنه في محراب يتعبد بطيب القول، وخالص الدعاء، وعمق الإيمان، مع خشوع القلب والجوارح، ينتخب من الكلام أجزله، ومن المعاني أزكاها وأفضلها، ولا ترتاح نفسه إلا إذا حلى كلامه وزينه ورصعه بدرة من درر جوامع كلامه صلى الله عليه وسلم، وجمله ببديع بيان المصطفى عليه الصلاة والسلام، يورده في سلسلة منظومة مشرقة متينة السبك بشيوخه الذين يعتز بهم، وشيوخ شيوخه من العلماء الأفذاذ، ذوي العدالة والمكانة والإتقان... فالدارس لرحلته يشاركه باحساسه العميق بروعة المشاعر والمشاهد، ومتعة الارتحال، وفرحة اللقاء بالشيوخ، ويسمو درجتهم في العلم، والإسوة والفضل... ولذا فهو يصفهم بأجل الأوصاف، في أدب جم، واحترام بين لائح، مما يدل على أصالة الرجل، وطيب محتده، ومبلغ أدبه وأخلاقه.... ولله دره فقد تكلم عن الحجر الأسود، ونقل ماحدثه به شيوخه عنه وعن مكانته والأحداث التي مرت به.

السقف والمسقوف

■ إعداد الأستاذ: أحمد باكو

■ إذا كنا نعلم ونستعمل كلمة (السقف) للدلالة على أعلى البناء المقابل لسفله أو أرضه، فإن من المجهول لها فعلا ومفعولا به وبقية الاشتقاقات فيقال سقف البيت (بفتح عينه) بسقفه (بكسرها وضمها) إذا جعل له سقفا.

والمهم المقصود بالذكر من هذه الاشتقاقات هو اسم المفعول الذي لايكاد يذكر على الرغم من الاحتياج إلى معناه الذي يعبر عنه بكلمة لاتناسبه إذ يكثر الحديث اليوم في الصحافة عن الملاعب الرياضية التي تكون عادة صغيرة، وتجرى فيها بعض الرياضات، التي لاتتوقف على ملاعب كبيرة وهي ماتعبر عنه الصحافة (بالملاعب المغطاة) عن طريق الترجمة الحرفية.

و واضح أن المقصود هو أن هذه الملاعب لها سقف يميزها عن الملاعب المفتوحة على السماء. ولذلك فقد كان الواجب أن نسميها (القاعات أو الملاعب المسقوفة)اشتقاقا من فعل سقف الوارد في المعنى، بدلا من فعل غطى، الذي له معنى عام، يبتعد عن المراد، وفي لفظه، أيضا، ثقل وحزونة بل أنه يمكن التوسع في الكلمة عن طريق المجاز بالانتقال بها من الظرف إلى المظروف، وإطلاقها على بعض الألعاب الرياضية نفسها حسب قواعد المجاز المرسل في البلاغة فنسميها (الألعاب المسقوفة).

فهناك، اليوم، نوع من كرة القدم يتميز بقلة عدد اللاعبين وعدم احتياجه إلى ملعب كبير مفتوح تطلق عليه الاخبار حين تتحدث عنه (كرة القدم داخل القاعة) مسمية إياه بشبه جملة طويلة، لايخفى ما فيها من إطناب مرفوض أن من المناسب جدا أن نستفيد من هذا المجاز فنسمي هذه اللعبة (كرة القدم المسقوفة).

وكما هو واضح فإن استعمال عبارة الملاعب أو القاعات المغطاة جاء من الترجمة الحرفية للكلمة الأجنبية المستعملة في الفرنسية وهذا نموذج للترجمة الفاسدة التي أدخلت إلى العربية كثيرا من الكلام الركيك. لاسيما. في لغة الاخبار بسبب الارتجال او الجهل أو الكسل أو كل ذلك.

الوثاق

مسائل الخلاف في ذات الوجهين

للعالم العلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي

■ الأستاذ: إدريس كـــرم

قال الشيخ الفقيه الامام العالم العلامة المقرئ النحوي اللغوي سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي رضي الله عنه، قال سليل عبد السلام محمد الفاسي ذوي الارحام

ثالث في الشاطبية والله اعلم.

■■■

فصدر الاشباع للبزي
ثم لقالون وللبصري
في باب جاء أحدكم وأوليا
أولئك السما ان لاتنيا
لغير الهمز الذي بعد الألف
والمد فاضل به كما عرف
وحكم بالسوء كحكم جاء
احدكم لابن العلا سواء
وصدرن ادغامه لا حمد
ثم لعيسى ثم تسهيل بدا
تمت إن سهلتها تصدرا
مد بها أيضا لما تقدرا
وأوليا أولئك السما الى
كالسوء في الحكم إذا ما سهلا
والف الادخال يعطى حكم
الاصل فاقتلنه فهما

تصدر المد اعتدادا فيما ذكر لأنه حرف مد قيل همز مغير، والراجح فيه المد اعتدادا بالأصل كما قال ولي الله رحمه الله والمد مازال اعدلا، وكذلك قال في التيسير، وسياتي نصه قريبا إن شاء الله.

■■■

وقول الله تعالى بالسوء الا للبصري من هذا الأصل فمده الراجح أيضا، وأما قالون والبزي فلهما وجهان، والمصدر منهما إبدال الهمزة التي قلبت واوا، وإدغام الواو التي قبلها وتصدر لأن الداني اقتصر عليه في التيسير كما في سورة يوسف.

والوجه الثاني التسهيل، فإذا أخذ به تصدر إشباع حرف المد قبله لما تقدر في باب جاء أحدكم، وقوله تعالى أوليا أولئك، ومن السماء الى الأرض وأمثاله مثل السوء الا في الحكم الذي هو تصدر الإشباع حيث يوخذ فيه بالتسهيل، لأن قالون والبزي يسهلان الهمزة الأولى منها، فيجب لحرف المد الذي قبلها ما وجب لواو السوء من باب لا فارق، فإن كان الف المد الذي هو قبل الهمز المغير الفا إدخال نحو ءالد، وءاندرتهم وهانتم لقالون والبصري، ولهشام في غير هانتم، ونحو ا نزل عليه الذكر ونحو اوله مع الله فإنه يعطى حكم الأصل على ما به العمل والأخذ من أنه مد متصل، وكل فيه على مرتبته من باب لا فارق والله اعلم.

■■■

وكلما تغيرا لسكون
فحكمه كهمزة يكون
ففيه وجهان فقط لا تمتري
ولا تقل فيه بقول الجعبري

إذا تغير الهمز وقبله حرف مد فقد قال الشاطبي فيه، وإن حرف مد قبل همز صغير يجز قصره، والمد مازال اعدلا، وهو عقد قول صاحب التيسير، ومتى سهلت الهمزة الأولى من المتفقتين أو أسقطت فالألف التي قبلها ممكنة على حالها مع تحقيقها اعتدادا بها، ويجوز أن تقصر الألف لعدم الهمزة لفظا والأول أوجه هـ.

إلا أنه عقده بلفظ أعم منه لأن الشاطبي قال قبل همز مغير، فاطلق ولم يعرضه في الهمز الأولى من المتفقين ولم يعرضه في الألف بل قال وإن حذف مد لين، ومثل الهمز في سببية المد السكون، فإذا تغير، انبغى أن يكون مثله في جواز اعتبار أصله وعارضه فيكون فيه وجها مغيرا لهمز، وبهذا أخذت.

■■■

وذكر الجعبري في الم الله والم أحسب ثلاثة أوجه المد والقصر والتوسط حملا على باب الوقف بجامع العروض وحمله على مغير الهمز أولى لاشتراكهما في سببية المد وفي التغير العارض، نعم كان يقال ان الهمز إذا تغير كان مقتضى النظر فيه ان يعتبر أصله، وعارضه ويعتبران معا فتجيء الثلاثة ولكنه لم يرد النظضر فيما علمت إلا بوجهين كما سبق من نص الشاطبية والتفسير ولا أخذ لي إلا بهما والله تعالى أعلم.

ثم إن اختلفتا وانكسرت
أخريهما من بعد ضم أبدلت
واوا في الأكثر وسهل في الأخير
ما بينهما وبين ياء في التشهير
وثالث الوجوه معضل فلا
أخذ من عند من تنبلا

واذا التقت همزتان من كلمتين الأولى مضمومة والثانية مكسورة، نحو من يشاء الى صرط، ففي تخفيف الثانية ثلاثة أوجه تسهيلها بينها وبين الياء وهو الجاري على مذهب سيبويه في باب

وهذا معنى قول ولي الله رحمه الله: كالياء أقيس معدلا والثاني: تسهيلها بينها وبين الواو وهو جار على مذهب الأخفش في ذلك الباب وهو المفضل عليه في قول الشاطبي أقيس وهومعضل فلا أخذ لي به، ولا عن أحد لمن تقدم، والثالث: إبدالها واوا محضة وهو جار أيضا على مذهب الأخفش في ذلك الباب على ظاهر إطلاق النحاة والقراء، وذكرهما الداني معا في التيسير قال والأول أي ابدالهما واوا مذهب القراء وهو ءاثر، والثاني: مذهب النحاة وهو أقيس اهـ.

■■■

فتصدر وجه إبدالها واوا لكونه مذهب القراء، وأكثر نقلا من الآخر على أنه موزع في أكثرية النقل هو والشاطبي رحمهما الله.

وصدرا لورشهم إضجاعا
لدى دوات اليا تكن مطاعا
فإن تكن رؤوس آي دون ها
فحكمها ذاك فكن منتبها
وإن تكن مبنية على الها
فصدرن فتحا بها لا تلها
وإن تكن من باب يصلى صدر
فتحا بها لاية واستبصر
فتى مصلى يجريان مطلقا
مجرى ذوات اليا ويصلى حققا
والحكم في الوقف على طغا الما
ونحوه كالوقف في مسمى

■■■

ذوات الياء إما أن تكون كلمتها منونة نحو سمعنا فتى يذكرهم، وأجل مسمى عند، وإلى أجل مسمى، ثم إنها تكون خالية من صاد بعدها لام كما مثل، وتكون مشتملة على ذلك نحو مصلى.

■■■

وإما أن تكون كلما تها غير منونة نحو ولكن الله رمى وسميكم المسلمين ودعويهم واشترى ونرى تقلب وجهك في السما إلى ما لا ينحصر، ثم هو يكون رأس آية وغير رأس آية مصحوبا بالصاد المذكور، وغير مصحوب به أو رأس الأية يكون مبنيا على هاء وألف وغير مبني على ذلك، ثم انه يلغي ساكنا منفصلا رأس آية وغيره ولا يلقاه.

■■■

فأما ما كان من ذوات الياء غير منونغير رأس آية أو رأسها على ما أخذت به وإن كان الجعبري طرق في قوله ولكن رؤوس الآي قد قل فتحها احتمال تعين إمالة رأس الآي في الشاطبية إلا أن الاحتمال الآخر أظهر، ولم يبن على ها، فإذا لم تشتمل كلمته على صاد ولم يتصل بساكن منفصل، فإنه يصدر فيه وجه الإمالة إما لتصدير الداني به، وإما لاقتصاره عليه لاحتمال في كلامه سياتي بيانه إن شاء الله، وإن كان رأس ءاية مبنية على هاء وألف فإنه يصدر فيه وجه الفتح لما ذكر، ونص الداني وقرأ ورش جميع ذلك بين اللفظين إلا ما كان من ذلك في سورة أواخر ءايها على هاء وألف فإنه أخلص فيه الفتح على خلاف بين أهل الأداء في ذلك اهـ.

■■■

فقوله: على خلاف الخ يحتمل أن يتعلق بأخلص قبله يليه للقرب فيكون الخلاف عنده في رؤوس الآي المبنية على هاء والف، وتكون ذوات الياء رأس ءاية وغيرها ذوات وجه واحد هو الإمالة، ويحتمل أن يتعلق قوله على خلاف بقوله قرأ ورش، لأن القيد في الكلام ينبغي أن يكون لأصله لا الفرد استثنى من ذلك الأصل فينعكس الحكم وتكون رؤوس الآي المبنية على هاء وألف ذات وجه واحد هو الفتح، فإن شمل كلمته صادا نحو يصره وسيصلى ويصلى سعيرا تصدر فيه وجه الفتح لاقتصار الداني على تغليظ اللام في باب الإمالة إلا إذا كان رأس آية نحو وذكر اسم ربه فصلى، وينهى عبدا إذا صلى، فيصدر فيه وجه الإمالة لقول الداني أيضا في التيسير في باب اللام: والترقيق أقيس لتاتي الآي بلفظ واحد، فإن كانت ذوات الياء منونة فتجري مرفوعة ومنصوبة ومجرورة على ما به الأخذ، وهذا معنى قوله مطلقا مجرى غير المنونة فيتصدر فيها وجه الإمالة لاقتصار الداني عليه، فإن كان في كلمتها صاد نحو من مقام ابراهيم مصلى تصدر فيها الفتح لا ذكر في ذوات الصاد، فإن كان الساكن الذي سقط من أجله الألف الذي من ذوات الياء منفضلا نحو طفا الماء، وعيسى ابن مريم، فإنه إذا وقف على ما قبل الساكن عاد الألف إلى مركزه، وتصدر فيه أيضا وجه الإمالة لما ذكره والله أعلم.

■■■

والحكم في أراكهم كالحكم
لدى ذوات اليا أيا ذا الفهم

صدر التقليل في اريكهم لاقتصار الداني في التيسير عليه ويجريه على ذم الراء عند ورش والله اعلم.

والحكم صالح صدر الاضجاع بياب
يرى الذين كفروا بلا ارتياب
ثم عليه صدروا ترقيا
لام نرى الله تخذ تحقيقا

■■■

صدر الاضجاع لقول التيسير، وبذلك قرأت في مذهبه، وبه ءاخذ، فهو قاطع به.

ثم إذا أخذ بوجه الإمالة في هذا الأصل حسبما به العمل فأميل حتى نرى الله جهرة ونحوه، ففي لام اسم الجلالة وجهان الترقيق وهو مختارا ابن الحاجب حسبما نقل عنه أبو شامة، قال عنه لأن أصل اللام الترقيق وإنما حجته بعد ضمة أو فتحة في هذا الاسم الشريف تعظيما، وإذا وقعت بعد كسرة ابقيت على أصلها للتنافر، والإمالة الكبرى جانب الكسر فيها أكثر، فكان الترقيق بعدها أصوب، وبهذا الأخذ.

والثاني: الفتح، وحكى عن الشاطبي ترجيحه، قيل وهو المتعين من التيسير وفيه نظر، قال ابن الجزري وكل من الترقيق والتفخيم جائز منقول، انتهى والله اعلم.

صدر عثمان بباب اللام
في الوقف تصحيحا بلا كلام
كذلك ما فصلت بألف
نحو فصالا وكطال فاعرف

صدر التفخيم إما في الوقوف عليها، فقول الداني في التيسير والتغليظ أقيس بناء على الأصل، وأما المفصولة فظاهر التيسير القطع بترقيقها، فوجه التفخيم من زيادة القصيد فحقه أن يتاخر، لكن الشاطبي قال والمفخم فقلا مع كونه اختيار الداني في غير التيسير فصدر لذلك والله اعلم.

وصدر في باب هاء المضمر
إشارة من غير تفصيل
در صدرت الإشارة المعلنة لاقتصار التيسير عليها حيث لم يتعرض في عداد ما لا يدخله روم ولا إشمام، فدخل في إطلاق الباب والله أعلم.

وصدر الكل من قد نقلا
بدءا بهمز الوصل حيث نزلا
وظاهر اعتبار عارض هنا
متحد مع غيره نلت المنا
وحكم بيس حكم النقل
فصدرا به اعتبار الأصل

■■■

صدر الابتداء بهم الوصل للناقلين لتصدير الداني كما في سورة النجم، ولقوله في غيره من كتبه هو أوجه الوجهين وأقيسهما، ولأنه جاء على الاعتداد بالأصل وهو الراجح في التصريق، ولذلك لا يرجح ما حذف للالتقاء الساكنين إذا حرك أحدهما نحو قوله تعالى: قم الليل ولم يكن الذين كفروا، فإن العين من الفعل حذفت لسكون لامها وسكونها، ثم لما حركت اللام لالتقاء الساكنين وهما اللام والحرف الذي بعدها في اللفظ ابقيت العين محذوفة اعتدادا بالسكون الأصلي، وهذا اتفاق من القراء.

(يتبع)

في ظلال الحديث

الحديث السابع عشر والمائة: كفى بالموت واعظا

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا ذكر هادم اللذات" يعني "الموت" أخرجه أبو عيسى الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

تخريج الحديث:

حديث صحيح، أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، حديث (2307/553/4)وقال: حديث حسن صحيح غريب. وأحمد في مسنده (7912/292/2)، والنسائي: كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت، حديث (1824)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث (4258/1422/2)، وصححه ابن حبان (2992/259/7)، وذكره الضياء في المختارة (1702.1701). وحسن المنذري إسناده. الترغيب(117/4)، وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني وإسنادهما حسن،(308/10)، وصححه الألباني بشواهده، إرواء الغليل (682).

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حدثنا محمود بن غيلان حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا محمود بن غيلان: هو أبو أحمد محمود بن غيلان الحافظ المتقن العدوي مولاهم المروزي، نزيل بغداد. أحد أئمة الأثر حدث عن سفيان بن عيينة والفضل بن موسى السيناني ووكيع وخلق وعنه الجماعة. قال ابن حنبل أعرفه بالحديث صاحب سنة قد حبس بسبب محنة القرآن وقال النسائي ثقة، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، توفي في رمضان سنة 239.

حدثنا الفضل بن موسى: هو السيناني الحافظ الإمام الحجة، أبو عبد الله الفضل بن موسى المروزي أحد أئمة خراسان، رحل وسمع من هشام بن عروة وطبقته وعنه إسحاق بن راهوية وعلي بن حجر وغيرهما. وثقه يحيى بن معين وأبو حاتم، وقال أبو نعيم هو أثبت من المبارك وقال وكيع أعرفه ثقة صاحب سنة، وقال إسحاق بن راهوية لم أكتب عن أحد أوثق في نفسي من الفضل بن موسى. ولد سنة 115 ومات رحمة الله عليه في 11 ربيع الأول سنة 192.

عن محمد بن عمرو: هو أبو عبد الله، محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ذكر الذهبي في التجريد أنه ليس له صحبة ولا لوالده. روى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وأبيه وسالم بن عبد الله... وروى عنه مالك والثوري وشعبة ويحيى بن سعيد القطان. قال يحيى بن سعيد: محمد بن عمرو أحب إلي من ابن حرملة، وسئل يحيى بن معين عن محمد بن عمرو فقال: مازال الناس يتقون حديثه وعموما هو صالح الحديث يكتب حديثه، توفي سنة 154.

عن أبي سلمة: هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف القرشي ثم الزهري المديني سمع أبا هريرة وابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم. قال: الزهري: كان أبو سلمة يماري ابن عباس فحرم من ذلك علما كثيرا قال مصعب: يقال إن أبا سلمة بن عبد الرحمن أرضعته أم كلثوم بنت أبي بكر وكان يلج على عائشة. وهو ثقة من الطبقة الوسطى من التابعين، توفي بالمدينة سنة:94هـ.

عن أبي هريرة: هو أبو هريرة الدوسي اليماني، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كثيرا، فقيل: اسمه عبد الرحمن بن صخر وهو الأشهر، وقيل غير ذلك، قال البخاري: روى عنه نحو من ثمان مائة رجل أو أكثر من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين وغيرهم، وقال المزي: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحافظ الصحابة، وقال الذهبي: صحابي، كان حافظا متثبتا ذكيا مفتيا، صاحب صيام وقيام، روي عنه خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وأربعة وسبعون (5374) وقيل أن عمر رضي الله عنه استعمله على البحرين ثم عزله ثم رواده على العمل فأبى وناب عن الإمارة ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي رضي الله عنه بها سنة 57 في آخر خلافة معاوية وله من العمر 78 سنة ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه.

أهمية الحديث

هذا حديث عظيم، وقاعدة تربوية نفيسة تؤكد على ضرورة تذكير النفس الغافلة وتزكيتها من خلال الإكثار من ذكر الموت، حتى يكبح جماحها، وترتدع عما يغضب الرحمن ويفوت على المؤمن فرص النجاة، وما أحوجنا إلى مثل هذا الحديث في أيامنا هذه حيث كثر الخبث والابتلاء، وركنت النفوس إلى الدنيا وخلدت...

ولقد شبه اللذات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة، ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهادم لئلا يستمر على الركون إليها، يشتغل عما يجب عليه من الفرار إلى دار القرار...

مفردات الحديث:

"هاذم اللذات": بالذال المعجمة: أي هادمها وقاطعها.

المعنى العام

في الأيام الأولى من شهر دجنبر 2004، وقعت هزات أرضية متتالية ببعض مناطق إقليم الناظور، مر ذلك في لمح البصر، كان الناس منهمكون في مشاغل الحياة، المطيع في طاعته، والعاصي في معصيته، فإذا بالأرض تهتز من تحت أرجلهم، هرع الجميع خارج البيوت والمنازل والإدارات والمقاهي... هاربين طالبين للنجاة، تركوا أموالهم وأولادهم وأزواجهم وأعمالهم لعلهم ينجون بذواتهم وبدا للناس أن البيوت التي يسكنونها ويحتمون بها من شدة الحر والبرد والريح، قد أصبحت لاتقدر على حمايتهم، بل هذه الأرض بضخامتها وقوتها، لم يعد لها أمان، فهؤلاء أمهات تركن الأبناء، وهؤلاء أغنياء تركوا الأموال، وتساءل الناس جميعا بعد اليقظة: ما الذي أخرجهم من أماكنهم، من أموالهم من أولادهم من مناصبهم من عزهم وسلطانهم؟ وماذا لو أن قضاء الله تعالى كان ماضيا وكان الزلزال بالداخل والخارج، وكان الهروب من قدر إلى قدر أفظع منه؟ ماذا لو زلزلت الأرض زلزالها؟

أيها القراء الكرام: لاينبغي أن تفوت هذه الحادثة دون تدبر واستخلاص للعبر والدروس، وعلينا قبل كل شيء أن نرجع إلى الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، لعل كلامه يحدث في نفوسنا هزة ترجع بنا إلى ربنا فنتوب قبل فوات الأوان، ونصلح ما أفسدنا قبل حلول يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إن الذي أخرج الناس في غاية الخوف والهلع، هو الهروب من الموت... ولعل هذا الهلع الشديد، أصله قبل كل شيء الاستئناس والركون إلى الحياة الدنيا، ولا أريد أن أفهم أنني ضد الهروب، بل ذلك من الأخذ بالأسباب وهو فرار من قدر الله إلى قدر الله خير منه... بل الذي أحب أن أبينه ونحن نستحضر هذا الحديث، أنه يجب علينا مداومة ذكر الموت حتى نكون من أهل الثبات عند هذه المواقف... ومن الذين إذا جاءهم الموت ثبتوا وذكروا...

1. حقيقة الموت

إن الموت حقيقة قاسية رهيبة، تواجه كل حي فلايملك لها ردا، وهي تتكرر في كل لحظة ويواجهها الجميع دون استثناء، سواء في حالة الأمن، أو في حالة الخوف، قال تعالى: (كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون)العنكبوت/الآية:57، إنها نهاية الحياة واحدة فالجميع سيموت لكن المصير بعد ذلك يختلف، (فريق في الجنة وفريق في السعير) الشورى/الآية7، وفي الموت عظة وتذكير وتنبيه وتحذير، وكفى به من نذير، قال صلى الله عليه وسلم: "كفى بالموت واعظا" والموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأبشع، وأنه الحادث الأهدم للذات والأقطع للراحات والأمنيات.

ولكننا مع الأسف الشديد نسيناه أو تناسيناه وكرهنا ذكره ولقياه مع يقيننا أنه لا محالة واقع وحاصل، والعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على أقرانه وجيرانه وكيف يطيب عيشه! وكيف لا يستعد له! إن المنهمك في الدنيا، المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لامحالة عن ذكر الموت، وإذا ذكر به كرهه ونفر منه، وإذا رأى علامات له، فر يمنة ويسرة، وفي كل ناحية، لعله ينجو، ومن لم يتذكر الموت اليوم ويستعد له فاجأه في غده وهو في غفلة من أمره وفي شغل عنه.

وماخاف مؤمن اليوم إلا أمن غدا بحسن اتعاظه وصلاح عمله، ولكن كثيرا من الناس مع الأسف الشديد يضيع عمره في غير ما خلق له، ثم إذا فاجأه الموت صرخ (رب ارجعون) المؤمنون/الآيةك99، ولماذا ترجع وتعود (لعلي أعمل صالحا فيما تركت) المؤمنون/الآية:100، وأين أنت عن هذا اليوم أيها الغافل؟ ألا تعمل وأنت في سعة من أمرك وصحة في بدنك، ولم يدن منك ملك الموت بعد.

إن ما نراه في المقابر أعظم وأكبر معتبر، فحامل الجنازة اليوم محمول غدا، ومن يرجع من المقبرة إلى بيته اليوم سيرجع عنه غدا ويترك وحيدا فريدا في قبره مرتهنا بعمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ولكن ما أقل من اتعظ وما أندر من اجتهد، إن كان من قصر أمله، وجعل الموت أمام ناظريه عمل بلا شك للآخرة واستفاد من كل لحظة من لحظات عمره في طاعة ربه وتحسر على كل وقت أضاعه بدون عمل صالح يقربه إلى الله، وهو لما قدم من عمل فرح مسرور بالانتقال إلى الدار الأخرة وهذا هو المغبوط حقا.

قال لقمان لابنه: (يابني أمر لاتدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجاك).

وقال بعض السلف: اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيق بأن يطول ويعظم له استعداده. كيف ونحن نعلم أن وراء الموت القبر وظلمته، والصراط ودقته والحساب وشدته، أهوال وأهوال لايعلم عظمها إلا الله.

2. محطة القبر

القبر هو أول منازل الآخرة فكيف بنا أهملنا بنيانه وقوضنا أركانه وليس بيننا وبين الانتقال إليه إلا أن يقال: فلان مات. قال صلى الله عليه وسلم : "مارأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه" وقال عليه الصلاة والسلام: "القبر أول منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر منه ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه".

نظرة واحدة بعين البصيرة في هذا القبر تعطيك حقيقة هذه الدنيا فبعد العزة وبعد الأموال وبعد الأوامر والنواهي وبعد الخدم والحشم وبعد القصور والدور، هذه هي نهاية ابن آدم في هذه الحفرة الضيقة المظلمة.

3. تأمل واعتبر.. وكفى بالموت واعظا.

انظر لحال الموتى وتأمل حالهم ومآلهم فوالله إنه سيأتيك يوم مثل يومهم وسيمر عليك ما مر بهم، ألا فاعتبر واستعد، ولاتغفل ولاتنس مصيرك ومآلك، فهل تصورت نفسك وأنت مكان هذا المدفون، والله إنها نعمة كبيرة إن أعطاك الله العبرة من غيرك ولم يعط غيرك العبرة منك، فأعطاك الفرصة أن تحاسب نفسك وتستعد لذلك المصرع، فهلا استفدت من هذه الفرصة ما دام في الوقت مهلة. "لمثل هذا فليعمل العاملون"الصافات/الآية:61 وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني، قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: ياويلها أين تذهبون، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق " (رواه البخاري) فتخيل نفسك ياعبد الله وأنت محمول على الأعناق وعلى أي الحالتين تحب أن تكون.

وقال صلى الله عليه وسلم: "والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجارون بالبكاء ولحثيتم على رؤوسكم التراب" وهذا الكلام موجه للصحابة رضي الله عنهم فكيف بك أيها الغافل اللاهي تلهو وتلعب وتغني وتعصي الله صباحا ومساء، ولا كأن أمامك موت ولاقبر ولاحشر ولانشر، ولا كأن أمامك هذه الأهوال العظيمة، فما أقسى والله قلبك ومااقل عقلك. فتنبه لذلك أيها المسكين إن كنت تعقل وتفهم.

وخلاصة القول، إن الإكثار من ذكر هادم اللذات في وقت الدعة والراحة واليسر، قمين بنفعنا يوم الخوف والهزات، اللهم إنا نسألك اليقين والثبات وحسن الخاتمة في الأمر كله.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

الترغيب في أداء فريضة الحج

■ إعداد الأستاذ: العربي الموذن

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي سهل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلا، وأوضح لهم طريق الهداية وجعل اتباع الرسل عليها دليلا، وأحمده وهو المحمود على كل ماقدره وقضاه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن الحلال ماحلله والحرام ماحرمه، والدين ماشرعه، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ألف القلوب بعد اختلافها ووحد الأمة بالدين بعد شتاتها في جاهليتها، وقادها إلى الصراط المستقيم الذي لايزيغ عنه إلا هالك، فبدعوته تطهرت النفوس وتحسنت الأخلاق، وعرفت أمة الإسلام السعادة والعزة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوه وجاهدوا معه وبعده لنشر دينه وحمايته من يطع الله ورسوله فاز برضى مولاه ومن يعص الله ورسوله خسر دنياه وأخراه. اللهم اجعلنا من الفائزين ولاتجعلنا ياربنا من الخاسرين.

أما بعد، فيقول الحق سبحانه وتعالى في سورة الحج المدنية: "وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات.."

عباد الله: لقد اقتضت حكمة الله أن يفاضل بين الشهور والأيام ففضل بعضها على بعض، فجعل بعضها أعيادا ومواسم عبادة وطاعة يزداد فيها المؤمنون إقبالا على العبادة والطاعة لله رب العالمين، فيتعاظم فيها الأجر والثواب أكثر من غيرها هكذا أيها الإخوة الكرام جعل الله أفضل أشهر العام الأشهر الحرم التي هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وجعل شهر رمضان أفضل أشهر السنة كلها، وجعل يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، والثواب يعظم حسب الزمان والمكان، اللهم أعظم ثوابنا في هذا اليوم المبارك وفي زمن هذا الموسم العظيم موسم الحج.

أيها المسلمون لقد طلعت علينا أشهر الحج التي هي شوال وذو القعة وذو الحجة مباركة كريمة، يصحبها نداء الله إلى خليله إبراهيم عليه السلام، هذا النداء الذي أوحاه الله إليه أن يصدع به في جبال مكة وثناياها ليصل صداه إلى أسماع المؤمنين وقلوبهم في كل عصر ومصر، كانوا أحياء أو نطفا في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، هذا النداء الخالد الذي خلده كتاب الله في قوله عز وجل: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ..." إنه النداء الرباني الذي يحرك المشاعر ويهذب العواطف، ويشوق القلوب المؤمنة الموحدة لربها إلى أطهر وأقدس مكان، وأجل حرام، هذا النداء الكريم الذي سيبقى مسموعا إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، يسمع دويه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ويستجيب له من في فؤاده حب لنداء الله. هذا النداءالذي اجتمع عليه منذ أن نادى به خليل الله المؤمنون به من مختلف الشعوب والأجناس لاتجمعهم مصالح دنيوية، ولاأغراض مادية، ولا أهداف عاجلة، ولكن يجمعهم حب الله، والرغبة في رضاه، معجلين بالاستجابة إلى نداء ربهم، معربين عن الاستجابة التلقائية بالشعار الخالد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك. بذلك يتعرضون إلى النفحات الربانية والمنح الإلهية، إن هذه الاستجابة تجسم حب العباد لخالقهم الذي يأمرهم بما ينفعهم، وصلة العباد بربهم هي صلة محبة، هي صلة قائمة على حب صادق، وعاطفة نبيلة ودليل ذلك ان الملبي لنداء الله المستجيب لأمره سبحانه حين يحل وقت النداء يفارق الأهل والمال والمشاغل كلها والوطن، وينفق الكثير في سماحة وطواعية، فيذهب إلى حيث أمر الله، معبرا عن الاستجابة بقوله: لبيك اللهم لبيك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك.

إخوتي في الله: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت وذلك بعد مادرس بالطوفان، أمره ربه بأن يؤذن في الناس بالحج، فقال: يارب ومن يبلغ صوتي؟ قال: ياإبراهيم آذن وعلي البلاغ، فصعد خليل الله جبلا وصاح: ياأيها الناس إن الله أمركم بحج هذا البيت فحجوا، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وطبعا كل عمل عليه أجر، ولهذا فالرب الكريم يقابل استجابة عباده لندائه بثواب عظيم نصت عليه أحاديث نبوية شريفة منها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة. ومنها: الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم. والحج المبرور هو الذي لايخالطه إثم، وقيل إن الحج المبرور هو الذي رجع صاحبه وقد عزف عن الدنيا وأقبل على الآخرة. فالحج عباد الله موسم ومؤتمر. الحج موسم عبادة وموسم تجارة. والحج مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسيق وتعاون. والداعي إلى هذا المؤتمر هو رب العالمين، والنائب عن الله في تبليغ هذه الدعوة إلى أمم الأرض، إبراهيم خليل الله، ثم أمين الله في الأرض حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، الحج فريضة تلتقي فيها الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة. أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقا رائجة، حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء من جميع أطراف الأرض بإذن الله، وصدق ربنا حيث يقول: "ليشهدوا منافع لهم" الحج موسم عبادة تصفو فيه الأرواح، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام وتسترجع الذكريات التي تحوم حول البيت الحرام كالأطياف من قريب ومن بعيد.

فهذا طيف إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو يودع البيت ويترك بجانبه فلذة كبده إسماعيل عليه السلام وأمه، ويتوجه بقلبه الخافق إلى ربه ويدعو ربه بهذا الدعاء: "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" وقد استجاب الله دعاء خليله، وهذا طيف إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت في إنابة وخشوع، وهذا دعاؤهما خلده القرآن الكريم: "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم" ماأحوجنا إلى العودة إلى الله، وماأحوجنا إلى رحمة الله. في وقت تفرقت فيه القلوب، وفي وقت لعبت فيه الأهواء بالناس، وفي وقت باع فيه الناس دينهم بدنياهم. اللهم اجمع قلوب المسلمين على حبك، وهذا طيف نجاة عبد الله أب الرسول صلى الله عليه وسلم من الذبح ليؤدي مهمته وهي أن يودع رحم آمنة أطهر نطفة وأكرم خلق الله على الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يموت، فكأنما فداه الله من الذبح لهذا القصد الوحيد الكريم الكبير. وهذا طيف ينقل الحاج إلى الزمن الذي رفع فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود بيديه الكريمتين ويضعه ووضعه ليطفئ بذلك الفتنة التي كادت تنشب بين القبائل، وفي هذا المكان يتذكر الحاج صبر المسلمين الأولين وهم تحت السياط وتحت حجارة مكة يعذبون، وفوق رمالها يجرون، وعلى أشجارها يصلبون، وفوق نيرانها يحرقون، وفي سجونها يعذبون، لا لشيء إلا أنهم قالوا ربنا الله ثم استقاموا، وفي ذلك المكان يتذكر الحاج أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يؤمون دار الأرقم بن أبي الأرقم ليتعلموا دين الله وعقيدة الإسلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك المكان يتذكر المسلم الحاج مكر المشركين لما صدوا النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة عن بيت الله في السنة السادسة من الهجرة، ويتذكر أيضا مكر المشركين لما عقدوا مؤتمرا ينظرون فيه في أمر محمد ودعوته، وانتهى مكرهم بالإجماع على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن الله عز وجل حفظه ليبلغ دعوته إلى الناس، ياغافلا ادرس سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعرف دينك، وفي ذلك المكان يتذكر الحاج زمن الفتح، ويتذكر عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين حاربوه وأخرجوه من وطنه، ويتذكر دخول الناس في هذا الدين أفواجا أفواجا، ويتذكر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا البيت، والذكريات كثيرة. اللهم ارزقنا اليقين وحبب لنا حج بيتك الحرام إنك نعم المولى ونعم المصير. نفعني الله وإياكم بالقرآن المبين وبأحاديث سيد المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللهم صل عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد، عباد الله: بادروا إلى تلبية نداء الله واعزموا على أداء فريضة الحج، واعلموا أن من أنعم الله عليه بالصحة والمال فقد توفرت له الاستطاعة، ومن تأخر عن أداء فريضة الحج حتى فقد صحته أو ضاع منه ماله اعتبره الشرع مفرطا، بادر أيها العبد المؤمن واستجب لنداء الرحمن، وجد بما في يديك ابتغاء مرضاة الله، وإياك والبخل بمال الله في سبيل الله ، وأنت تعلم أنك لاتملك لنفسك نفعا ولاضررا، ولا موتا ولاحياة ولانشورا، وتذكر يوم ولدت حافيا عاريا لاحول لك ولا قوة، وتذكر الأطوار التي مررت منها حتى وصلت إلى ماوصلت، وتذكر يوم كنت فقيرا تبحث وتجد في الحصول على العمل، وتذكر قول الله تعالى: "ومابكم من نعمة فمن الله" اتقوا الله عباد الله وبادروا بالإقبال على الله في بيته رغبة في أداء فريضته، وصونوا ألسنتكم وأسماعكم وأيديكم عن كل مايغضب الرب تعالى، واستجيبوا لقول الله عز وجل: "فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولاجدال في الحج"

يا من يريد أداء فريضة الحج: إذا أنعم الله عليك بضيافته وزيارة بيته، فكن مثالا للضيف الكريم، وكن خير وافد على بيت الله، ومن اللؤم أن تعصي المضيف في بيته وتسيء إلى من أحسن إليك حيث يسر لك سبل القدوم عليه في بيته، فاجتنب عبد الله عصيان خالقك، فلا تتخاصم، ولاتكثر الجدال، ولاتؤذ الناس بلسانك ويدك ولاتنظر إلى محارم غيرك، ولاتمد يدك إلى مالا يحل لك، ولاتتهاون في أداء فريضة الصلاة مع الجماعة، واصبر على الاذايات إن أوذيت، واحرص على حضور مجالس العلم لتتفقه في دينك من الآن، وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك به وهذا لايحصل عليه الإنسان إلا بحضور مجالس العلم.

اللهم وفقنا لتعلم دينك، اللهم وثق صلتنا بك، واربط قلوبنا بحبك وحب نبيك صلى الله عليه وسلم وصرف حياتنا في طاعتك، اللهم اشرح صدورنا ونور قلوبنا واجعلنا من حجاج بيتك ومن ضيوفك المكرمين، اللهم أعن المجاهدين في كل مكان وحرر لنا أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومتعنا بالصلاة في مسرى نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم احفظ بلدنا من الفتن ماظهر منها ومابطن وأيد بالسبع المثاني مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين وأقر عينه بولي عهده الأمير مولاي الحسن.

عبادة الحج ومقاصدها

■ إعداد الأستاذ: محمد حمان

الحلقة الثانية

ارتباط عبادة الصلاة بعبادة الحج:

فهذا النص القرآني الطويل المكون من تسع آيات يكشف لنا ترابط العبادات فيما بينها، ويطلعنا بكل وضوح على مدى تعظيم الخالق سبحانه لبيته العتيق الذي أراده جل علاه قبلة نهائية وخالدة على مدى الحياة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإذا كانت هذه القبلة الجديدة هي التي أرادها الله لعباده المومنين فما عليهم إلا أن يتشبثوا بها وألا يعيروا أدنى اهتمام لأقوال السفهاء من الناس الذين لا إيمان لهم بردعهم عن الخوض فيما لاطائل تحته. فلا حق لهولاء السفهاء في الاعتراض على ما أراده الله واختاره لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وللمومنين الصادقين معه فالملك لله وحده، وهو المتحكم في جميع أجزاء الكون، وقد جعل سبحانه صراطه المستقيم في توجه عباده المسلمين إلى بيته العتيق الذي أمر بوضعه هناك بمكة في الأزمنة الغابرة، ففضله جل علاه لاكحجر، فبالرغم من كون أمة الإسلام جاءت متأخرة في الوجود على هذه الأرض الدنيوية فإنها نالت شرفا كبيرا من ربها سبحانه، وتزكية عظيمة منه عز شأنه، حيث أسند إليها الشهادة على الأمم السابقة عليها في الوجود، بعدما شرفها بأكرم رسول لديه، وكلفه بتوجيهها وإرشادها، وزادها تزكية بالعدالة التي استوحتها من كتاب ربها.

وربنا جل علاه يخبرنا ضمن هذه الآيات القرآنية بأنه لما أمر رسوله بالتوجه إلى القبلة الأولى في بيت المقدس، ثم صرفه عنها حين أمره من جديد بالتوجه إلى البيت الحرام، كان مراده سبحانه أن يكشف الكشف الكامل لكل متأمل عن المخلصين في إيمانهم باتباعهم لرسوله في كل وجهة اتجههابهم بأمر من ربه، وعن المذبذبين في عقيدتهم الذين يتبعون أهواءهم ويبتعدون كل البعد عن هداية الله التي تخص المومنين دون غيرهم.

وقد أشعر الله رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام بهذا التغيير الذي سيحدثه، لهذا كان صلى الله عليه وسلم في ترقب دائم، وينتظر وحي ربه إليه بذلك ناظرا لهذه الجهة أو تلك من جهات السماء لعله يتلقى وحيا من ربه يوجهه إلى ما هو في شوق إليه ولايريد به بديلا، وبالفعل تحققت له أمنيته في التوجه بصلاته إلى الكعبة المشرفة، وأكد له ربه بأنه محول له إلى الجهة التي يرغب فيها، وفي الحال يأمره بالاتجاه نحو مكة التي فيها المسجد الحرام الذي يحيط بالبيت العتيق من كل الجهات كما يأمر عموم المومنين أين ماوجدوا بأن يتجهوا في صلاتهم الوجهة نفسها، وفي الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام تخفيف على الأمة ورفع للحرج عنها، إذ يصعب التوجه إلى عين البيت، ولايتحقق ذلك إلا لمن كان بداخل المسجد الحرام.

أركان الحج التي لاتجبر بالدم:

والحج الذي هو ركن وقاعدة من قواعد الإسلام لايتحقق إلا بتحقق أركانه الأربعة التي لاتجبر بالدم، كما أن الصلاة التي تعد هي الأخرى ركنا من أركان الإسلام لاتصح من المكلف بها إلا إذا حقق شروطها وفرائضها وكل ما هو مطلوب فيها، وهكذا يتجلى الترابط الوثيق بين عبادة الحج وعبادة الصلاة، وبيت الله الحرام هو الجامع بين هاتين العبادتين، فعبادة الصلاة التي لاتكون صحيحة إلا بالتوجه للبيت الحرام ترتبط ارتباطا وثيقا بعبادة الحج التي من جملة المناسك اللازمة فيها الطواف بالبيت العتيق، والسعي بين الصفا والمروة اللتين توجدان إلى جانب بيت الله الحرام، والوقوف بعرفة التي لاتبعد عن البيت الحرام إلا بأميال قليلة، وإذا كانت الصلاة لايكون الدخول فيها إلا بالنية مع تكبيرة الإحرام، فالحج كذلك من أركانه التي لايجبرها الدم الإحرام، وهو نية الدخول في الحج على وجه الإفراد، أو العمرة ثم الحج على وجه التمتع، أو فيهما معا على وجه القران، وكما تلزم الطهارة للمصلي تلزم كذلك للذي يطوف بالبيت، والطواف يتحقق بالدوران حول البيت سبعة أشواط كاملة ابتداء من الحجر الأسود وانتهاء به، والمقصود بالطواف الركن هو طواف الإفاضة، كما أن السعي هو الآخر يتم بالمشي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، غير أن شوط السعي يختلف نوعا ما عن شوط الطواف، ذلك أن الذهاب من الصفا إلى المروة يعد شوطا، والرجوع من المروة إلى الصفا يعد شوطا ثانيا، وهكذا إلى آخر الأشواط السبعة التي تنتهي في المروة، ويكون الساعي قد وقف تلقائيا على كل من الصفا والمروة أربع مرات، وفي هذا السعي يقول الله تعالى: "إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم" سورة البقرة/الآية:158.

التحذير من تكفير المسلمين

■ إعداد الأستاذ: عبد الغني بن محمد أفقير

■ إن القول بتكفير المسلم كفر بنص الشارع صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين والذي لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه" متفق عليه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من دعا رجلا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" متفق عليه.

وفي ايقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن لمحمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم "من كفر مسلما فقد كفر"

وقوله صلى الله عليه وسلم "إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما"

لأنه إذا قال لمسلم ياكافر بلا تأويل كفر، ولأنه سمى الإسلام كفرا.

وقد روى مسلم " إذا كفر المسلم أخاه فقد باء بها أحدهما" إن كان كما قال وإلا رجعت عليه.

وفي رواية "ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" أي رجع.

وفي رواية أبي عوانة "فإن كان كما قال وإلا باء بالكفر" وفي رواية: "إذا قال لأخيه ياكافر فقد وجب الكفر على أحدهما" ومعنى كفر الرجل أخاه أي وصفه بالكفر ونسبه إليه في خبر كرأيت كافرا... أو نداءك ياكافر.

وفي الدرة البهية في جواب لسؤال عن كفر مسلما بنحو هذا وقد ورد: إذا قال الشخص للشخص ياكافر فقد باء بها أحدهما، وإلا كيف يتجرأ المسلم على تكفير المسلمين؟ فكأنه يريد قصر الإسلام على نفسه، وأنه ليس لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمة ناجية غيره وغير من وافقه على ما قال. وليته اعتبر بقول الحق تعالى : "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا"

وقد تحرز الأئمة قديما وحديثا من تكفير المسلم، وحذروا من المبادرة فيه مهما أمكن، فقال حجة الإسلام الغزالي.

"الذي ينبغي أن يميل إليه المحصل الاحتراز من التكفير مهما وجد إليه سبيلا، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول "لاإله إلا الله" خطأ، والخطأ في ترك الكافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم.

قال صاحب الخلاص الحنفي:" إذا كان للمسلم وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع من التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الحمل على الوجه الذي يمنع من التكفير.

وقال بعضهم: إن كلام المسلم إذا كان له وجوه عديدة ولو بلغ عددها ألفا تكفره ووجه واحد لايكفره فعلى المفتي حمل الكلام على الوجه الذي لايكفر به. ولو كان بعيدا.

وقد قيل لمالك، أيكفر أهل الهوى؟

فقال: هم من الكفر فروا...

وقد سئل تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عن حكم تكفير غلاة المبتدعة فقال:

اعلم أيها السائل إن كل من خاف من الله تعالى استعظم القول بالتكفير لمن يقول لاإله إلا الله محمد رسول الله، إن التكفير أمر هائل عظيم الخطر لأن من كفر شخصا فكأنه أخبر أن عاقبته في الآخرة الخلود في النار أبد الآبدين وأنه في الدنيا مباح الدم والمال، لايمكن من نكاح مسلمة ولاتجرى عليه أحكام المسلمين لا في حياته ولابعد مماته، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم امرئ مسلم، وفي الحديث "لأن يخطئ الإمام في العفو أحب إلى الله من أن يخطئ في العقوبة.

فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرح بالكفر واختاره دينا وجحد الشهادة وخرج من الإسلام جملة.

فعلى هذا، فكيف يتجرأ من له شفقة على نفسه ودينه على تكفير من يقول "لاإله إلا الله محمد رسول الله" فأحرى بتكفير أولياء الله تعالى والعلماء العاملين والعارفين والعباد المتبتلين عمار المساجد أهل حلق الذكر والمتحابين في الله بالله المستغفرين بالأسحار المستغرقين في محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة آل بيته الطيبين الطاهرين المتواجدين في قبائل شتى وفي بلاد شتى يجتمعون على ذكر الله عز وجل، فلا شك أن هؤلاء لايتجرأ على تكفيرهم إلا من تحكمت فيه أعداؤه الأربعة .

1. الدنيا.
2. النفس.
3. الهوى.
4. والشيطان.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

الإسلام ساوى بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات

■ بقلم الأستاذ: رشيد كهوس

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبينا المصطفى والرسول المجتبى ،وعلى آله وصحابته ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

يقول ربنا تبارك وتعالى « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، سورة آل عمران /85.

ويقول الخالق جلت عظمته وتقدست كلماته« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ، سورة المائدة الآية 3.

إن الباري جل وعلا خلق من كل شيء زوجين ، خلق الذكر والأنثى فساوى بينهما في الحقوق والواجبات بعدما ساوى بينهما في خلقهم وقيمتهم الإنسانية فلا تنافر بينهما ولا تمايز فالكل يرجع إلى أصل واحد ، يقول الله تعالى« يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ، سورة النساء الآية 1.

يقول الشيخ خالد عبد الرحمان العك موضحا المقصود من هذه الآية الكريمة « ومما سبق يتبين أن المرأة مخلوقة من عنصر الرجل نفسه ولم تكن مستقلة عنه في الخلق ،وقد انبث منها مجتمعين جميع الرجال والنساء فالجنسان كلاهما يرجعان إلى أصل واحد ، وعلى هذا الأساس ينظر الإسلام إلى جنس الرجال وجنس النساء بمنظار واحد ، فهما في نظره من جوهر واحد وعنصر واحد ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية اكثر مما لآخر ».

ويؤكد هذا المفهوم كثير من الآيات القرانية والأحاديث النبوية الشريفة، يقول ربنا الكريم « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ، سورة الأعراف / الآية 189 . فهذه منة عظيمة من العزيز الحكيم الذي خلق الذكر والأنثى ليسكن كل واحد إلى صاحبه لتتحقق تلك الألفة والطمأنينة والمودة والمحبة بين الزوجين ، لولا هذا لكانت الحياة الدنيا وحشة . وهذه المساكنة تقتضي أن يتعاونا الرجل والمرأة على البر والتقوى وان يحفظوا فروجهم لتتحقق تلك السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

ويقول جل جلاله « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكركم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير ، سورة الحجرات :الاية:13.

مما سبق تبين لنا أن الله تعالى ساوى بين الذكر والأنثى في أصل الخلقة، وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ، والأكرم عند الله هو أكثرهم خشية لربهم وأكثرهم تقوى وعملا.

أما ما يتعلق في تمييز الرجل عن المرأة في بعض الأحكام ،فليس التفاضل بمسالة جنسية ، إذ أكرم الناس عند الله تعالى اتقاهم كما سبق مصداقا لقوله تعالى« إن أكرمكم عند الله اتقاكم ،(الحجرات 13) ، وقد اشرت إلى هذه القضية في كتابي الشراكة الزوجية قلت « والشرع أثار تمييزا في بعض الأحكام بين الجنسين لحكمة خلقية ووظيفية قد تغيب عن عقول دنسها بيع الذمم ، وخوار الهمم، والأيادي الممدودة للحليف الجاهلي ، وسواء تعلقت الأحكام بالميراث أم الشهادة فالتشريع راعى خصوصية كل واحد من الجنسين ووظيفته التي أنيطت به، وقد رفض جمهور الفقهاء شهادة المرأة في القصاص والحدود والأموال مراعاة لخصوصيتها ، وبخاصة لطبيعة عواطفها الجياشة حبا وبغضا ، وكذلك بالنسبة لميراث المرأة نصف ما يرثه الرجل، وقد راعى الشرع في هذا الأمر ، التفاوت في التكليف والوظائف المفروضة على كل منهما ، فالرجل في اغلب الحالات يكون مكلفا بأعباء الأسرة من إنفاق على البنت والأم والزوجة والأخت ،ولذلك جاءت أحكامه موافقة ومراعية لحاجة الرجل ومسؤولياته الكبيرة ، فضلا عن مقتضيات القوامة، وتعدد الزوجات .....

وفي سياق المساواة بين الجنسين يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب الناس رجالا ونساء في حجة الوداع، في الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خاطب الناس يوم فتح مكة فقال : « ايها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله ،والناس بنو آدم ،وخلق آدم من تراب».

واخرج الترمذي والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : يارسول الله لا اسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل هذه الآية ، تطييبا لنفوسهن وإعلاما بأنهن والرجال سواء في الأعمال والجزاء، فقال تعالى «إن المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما، سورة الأحزاب 35.

« وورد في سبب نزول هذه الآية، قول النساء : لو كان فينا خير لذكرنا ، كما قالت أم سلمة الآية السابقة ، ولعل في هذه الآية ما يكفي للتدليل على المكانة التي وضع الإسلام فيها المرأة ويلقم حجرا أولئك الأفاكين المتخرصين المتقولين على الإسلام ما شاءت لهم أحقادهم وأغراضهم الفاسدة،

إذا فليست المرأة أقل قيمة من الرجل لذلك ساوى الشرع بينهما في التكليف والجزاء ، وهذا ما لا حظناه في الآية السابقة من سورة الأحزاب، وفي قوله تعالى« ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا، سورة النساءالآية 123، وقوله عز من قائل « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ، سورة النحل /الآية 97.

هذا فضلا عن التكريم الإلهي لكل من الذكر والأنثى، ولقد كرمنا بني آدم ، (الإسراء / 70) كما كرم المرأة في جميع مراحلها بنتا وإما زوجة وأختا ، قال تعالى« وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ، (التكوير /9.8) فكرمها بنتا واعطى لها الحق في الحياة بعدما كانت تدفن وهي حية، وكرمها زوجة فقال سبحانه « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، (الروم /20) وقال تعالى « وعاشروهن بالمعروف ، (النساء/19) وكرمها أما وحث على الإحسان إليها فقال جل وعلا« ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وفصاله ثلاثون شهرا، (سورة الأحقاف 14).

فقد حث الإسلام على الاهتمام والإحسان والانفاق على النساء وفيهن الأخوات قال عليه الصلاة والسلام « من عال جارتين حتى تدركا ، دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بإصبعه السبابة والوسطى ، وروي كليب بن منفعة عن جده: «أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله من أبر؟ قال : أمك وأباك واختك ومولاك الذي يلي ذلك ، حقا واجبا ورحما موصولة ».

كما ساوى الشرع بين الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية والجزاء ، قال تبارك وتعالى « والمؤمنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم «(سورة التوبة : 72)

أما عن المساواة في جانب العقاب فيقول الباري تبارك وتعالى « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين «(النور /2)

وقال الخالق عز وجل: « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ، (المائدة :38)

وهذا التساوي والمساواة يتضح جليا في قوله تعالى« لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض «(آل عمران/ 195).

يقول الدكتور مصطفى بنحمزة « وقد أكد هذا المعنى أن القرآن الكريم جمع المرأة إلى الذكور جمع مذكر سالم إشعارا بتساوي الرتب عند الله فقال : « ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين ، (التحريم 12).

إن المفاضلة بين الرجل والمرأة على أساس من الجنس قد ألغاها الإسلام وصرف النظر عنها ، وذهب ابعد من ذلك إذ جعل المرأة جزءا من الرجل وشقا منه فقال الحق سبحانه « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسهم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، (الروم/ 20) ... وليس هناك تعبير يمكن أن يكون أقوى دلالة من هذا التعبير على متانة بل وعضوية العلاقة بين الرجل والمرأة ،وعلى هذا فالذكر لا يمكن أن يفاضل بينه أو بين قلبه وكبده من أعضائه التي اختلفت وظيفة وعملا ، فإنها تتكامل في منحه فرصة الحياة».

وقياسا عليه فلا يمكن أن نفاضل بين الذكر والأنثى فكل واحد مكلف بوظيفته الخاصة ، فالذكر وظيفته رعاية الأسرة وحمايتها .القوامة... والأنثى وظيفتها حفظ مال زوجها وولده وبيته في حضره وسفره .الحافظية. .

وقد أورد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه فقه السيرة النبوية بعد حديثه عن بيعة النساء مجموعة من الأحكام استنبطها من هذه الحادثة وخصوصا ما يتعلق بالمساواة بين الرجل والمرأة يقول:« اشتراك المرأة مع الرجل ،على أساس من المساواة التامة في جميع المسؤوليات التي ينبغي أن ينهض بها المسلم، ولذلك على الخليفة أو الحاكم المسلم أن يأخذ عليهن العهد بالعمل على إقامة المجتمع الإسلامي بكل الوسائل المشروعة الممكنة ، كما يأخذ العهد في ذلك على الرجال ليس بينهما فيه فرق ولا تفاوت» .

هذا ، وإن كان الأصل هو المساواة بين الرجل والمرأة في الإنسانية ، إلا أن هناك فروقا بينهما في بعض التكاليف الشرعية لحكم إلهية كميراث المرأة في بعض الأحوال يكون على النصف من ميراث الرجل، وجعل الطلاق بيد الرجل لأنه هو الذي يدفع المهر ونفقة الأسرة والأبناء وتبعات الطلاق وغير ذلك من الفروق التي تنطوي على حكم إلهية كثيرة.

فهو الذي خلق الذكر والأنثى ولا يتعصب لجنس على حساب الآخر فنحن الفقراء والله هو الغني الحميد، ويقول سبحانه وتعالى، لحسم هذه القضية في سورة النساء «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبنا واسألوا الله من فضله ، هذا فضلا عن الامتيازات التي تمتاز بها المرأة عن الرجل ومن أهمها « أن الإسلام خفف عنها فأعفاها من بعض الفرائض ، كقضاء الصلاة، ومن تحمل الأعباء المالية كالمهر والنفقة وإعالة الأسرة، ومن القضاء ورئاسة الدولة العليا، ومن الجهاد في سبيل الله، ومن الشهادة في الجنايات والحدود لنفرتها عادة من رؤيتها وعدم إطاقتهما رؤية الدماء، فلا يكون تحملها الشهادة على القتل مثلا دقيقا ، وتستقل بقبول شهادتها فيما تختص بالاطلاع عليه كالولادة وعيوب النساء الخاصة».

وبعد هذا وذاك فإن « المرأة ليست دون الرجل في شيء إنهما خلقان متساويان في الحقوق وفي الخلافة في الأرض وفي مسؤولية عمارتها، ولكن كل واحد منهما له دوره الذي ينسجم مع طبيعة خلقه.

وخلاصة القول إن الإسلام ساوى بين الطرفين في الحقوق والواجبات وفي القيمة الإنسانية وفي العبودية لله تبارك وتعالى وفي الثواب والأجر على هذه العبودية ، أما اختلاف الوظائف والاختصاصات بين الذكر والأنثى فإنه لا يخل بمبدأ المساواة ، وإنما ذلك ما اقتضته الفطرة وطبيعة البناء الأسري وهو القوامة وظيفة الرجل التي حاول أعداء الدين أن يبثوا من خلالها سمومهم وجحافلهم الملوثة إلى المجتمع المسلم، والحافظية وظيفة المرأة فكل واحد مختص بوظيفته ، كاختصاص أعضاء الإنسان فاليد لها وظيفتها والرجل له وظيفته وسائر الأعضاء ليتحقق ذلك التكامل بين سائر الأعضاء وهكذا بالنسبة للرجل والمرأة كل له وظيفته ليتحقق ذلك التكامل.

أما الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام " دعاة التحرير " حول قضية المرأة والمساواة فإن هدفهم هو التشكيك في الدين ، وخلخلة كيان البيت المسلم وتأليب الزوجة على زوجها والأخت على أخيها .. وهلم جرها من المصائب والويلات التي يريدون غرسها في جسم الأمة ، فخاب والله من كانت هذه بضاعته ، وقانا الله من شر البضاعة.

ولله در القائل:

لايخد عنك عن دين الهدى نفر
لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا
عمي القول عروا عن كل فائدة
لأنهم قد كفروا بالله تقليدا.

وصدق ربنا تبارك وتعالى حيث قال : يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، (الروم 6)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الهداة المنعمين ، وعلى من اتبع هديهم إلى يوم الدين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

القرآن المرتل

حرف الخاء

■ ذ عبد الواحد بن سكى

■ حرف حلقي منفتح ، يجري النفس معه بانفراج بين اللسان، والحنك الأعلى، عند النطق به، لأن ضعف الاعتماد عليه في مخرجه ، أضعف التصويت به ، مما جعله حرفا مهموسا خفيا . كما أن ضعف لزوم الحرف لموضعه أجرى معه الصوت ، بسهولة ولين، ليصبح بذلك حرفا رخوا قابلا للتمديد ، يضاف إلى ذلك أن مؤخر اللسان يرتفع نحو الطبق وهو الجزء اللين من سقف الفم ، ويضيق مجرى الهواء دون أن ينحصر الصوت بينهما بحيث يسمح لحرف الخاء بالخروج منفتحا ، وهذه الكيفية العارضة للخاء تسمى بصفة الإستعلاء ، ولهذا يعد حرف الخاء من الأصوات المستعلية أي لأن الصوت يعلو عند النطق به إلى سقف الفم . والاستعلاء من الصفات القوية حروفه سبعة وهي المجموعة في هجاء خص ضغط قظ:1.خ 2.ص.3.ض.4.غ.5.ط.6.ق.7.ظ .

والملاحظ أنه لا يلزم أن يكون الحروف لسانيا ليستعلي اللسان به ويرتفع ، كما لا يلزم إلصاق جملة من اللسان على الطبق عند النطق بالحرف المستعلي ، فالغين والخاء يخرجان من أدنى الحلق ويحصل عند النطق بهما استعلاء ما قارب الحلق وهو أقصى اللسان ، لهذا عدتا من حروف الاستعلاء وليس من حروف الإطباق لأن الإطباق أخص من الاستعلاء (كل حرف مطبق مستعل والعكس غير صحيح) ويترتب على الاستعلاء التفخيم وحروفه كلها مفخمة لا يستثني شيء منها في حال من الأحوال إلا أن تفخيمها ليس في رتبة واحدة فأقواه إذا فتحت وليس بعدها ألف، ويليه إذا فتحت وليس بعدها ألف، ويليه إذا كانت مضمومة ، ويليه إذا كانت ساكنة ، ودونه إذا كانت مكسورة، وأما الألف فلا توصف بترقيق ولا تفخيم بل تكون تابعة لما قبلها ترقيقا وتفخيما على الصواب كما في النشر.

ومن الصفات الأخرى لحرف الخاء أنه حرف ثقيل على اللسان.

أي ، عندما تتلفظ بحرف الخاء ساكنة بعد همزة وصل ، تجد أن في تلفظك به كلفة وصعوبة ، بالمقارنة مع اللام أو الميم أو الفاء ، من قولك : الْ. امْ. افْ ولذلك سميت الخاء وما ماثلها في هذه الصفة بالحروف المصمتة وهي ما عدا حروف « مرينفل» ومما ينبغي، الاعتناء بحرف الخاء عند النطق به ساكنا ، وإلا ربما انقلبت الخاء غينا لأنه لا فرق بين الخاء والغين إلا بكون الأولى مهموسة والثانية مجهورة.

قال تعالى : ولا تخشى (طه77) ، و. اختار موسى (الأعراف155)و. اختلط (الأنعام146)

ويختم (الشورى 24) ونحو ذلك.

من بلاغة الرسائل

-1-

أما بعد : فإن الاختيار صرفك والاختبار صرفك والسلام.

-2-

ومثل ذلك ماكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله أما بعد، فقد كثر حاسدوك، وقل شاكروك ، فإما اعتدلت وإلا اعتزلت والسلام.

-3-

ونحو ما كتب أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين في عزل أحد ولاته:

أما بعد فإنه قل شاكرك، وقد عزلناك عزلة تحط قدرك وتخمل ذكرك و السلام

-4-

وقال الرياشي:

كتب ملك الروم يتهدد المعتصم فقال : المعتصم لكاتبه اكتب له أما بعد:

فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا تسمع وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار.

من مذكرة، المكي البطاوري اعدها، أبو بكر

خواطر وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

لماذا يفترون على عمرو بن العاص؟

بين الحين والآخر تقوم بعض القنوات العربية ببث برامج يشتد فيها الصراخ والجدل والهياج وتتوتر الأعصاب ، ويتواجه المشاركون في نقاشات بيزنطية لا جدوى منها وكل واحد منهم يحاول أن يكون هو المتفوق على خصمه.

وما كنت لأتحدث عن هذه الظاهرة لولا أن هذه القنوات تحاول بالتأكيد المس بثوابتنا، وتحاول إقتحام بيوتنا ونشر التفسخ والانحلال بين أبنائنا وبناتنا، ماكنت اعتزم الكتابة لولا ما شاهدته في إحدى الحوارات وقد انتفخت أوداج أحدهم وهو يتناول شخصية عمر بن العاص ، ويصفه بأشنع النعوت ، كان أشبه ما يكون بببغاء تردد ما جاء على لسان المستشرقين المتعصبين ، وبلغ السيل الزبى عندما دعا إلى مراجعة الخطاب الديني للقرآن. لا أدري كيف يسمح المسؤولون على هذه القنوات بإثارة المواضيع الماسة بعقيدتنا وتدخل الشكوك في عقول شبابنا.

لماذا الخوض عن جهل في تاريخ الصحابة دون امتلاك منطلقاته ومؤهلاته وأدواته من القدرة على التحقيق في الروايات ونقدها والتمكن من معايير الجرح والتعديل والاحتكام إلى الكتاب والسنة ، فهل يجوز، إذن، من الناحية العلمية والموضوعية والمنهجية رد ما ورد بالتواتر في فضل الصحابة وخيرتهم وخصائصهم بنقول أكثرهامحرف وموضوع بقصد إثارة البلبلة.

وإذا كان الصحابة بشرا من البشر الذي يجري عليه الخطأ والنسيان والصواب وكانوا مادة التنزيل الخالد وأوعيته التي تمثل النماذج العملية لتعامل البشر مع المقدس ، أو لتعامل الإنسان مع نصوص الوحي ، فإن ما قد يقع منهم وهذا نادر في خطأ وتوبة وعودة إلى الحق وانصياع للصواب أليس ذلك دليلا على نزاهتهم واستقامتهم وشديد تمكينهم بما أنزل الله.

عمرو بن العاص وصفه رجل من تقاة المسلمين فقال:« صحبت عمرو بن العاص، فما رأيت رجلا أبين قرآنا، ولا أكرم خلقا ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه ، وكما كان موضع ثقة رجاله ، كان موضع ثقة رؤسائه ، فقد كان أحد سفراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد قادته ، وأحد ولاته ، وأحد عماله على الصدقات . كان من أصحاب الفتيا في الصحابة، والمجتهدين بالدين.

وبعد إسلام عمر ومباشرة قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عمر يقول :« ماعدل بي رسول الله وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في حربه منذ أسلمت ، فكان من قادة النبي ومن سفرائه وعماله وكتابه ودعاته كما كان من قادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن قادة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ومن عمالهما على مصر ومن عمال معاوية بن أبي سفيان .

إن ماضيه المجيد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم جعله الوحيد من الصحابة الذين تولى القيادة والسفارة والولاية وجباية الصدقات والكتابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ من الصحابة من تولى منصبا من تلك المناصب، ولكن لم يتولها واحد منهم مجتمعة للنبي صلى الله عليه وسلم ابدا. كان أحد قادة فتح أرض الشام وفلسطين ومصر وليبيا وتونس كان مخلصا في انتمائه ، صادقا في إيمانه في حالتي اخفاقه ونجاحه، حين كان سفيرا لمشركي قريش ، ثم أصبح سفيرا للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولولم يكن مخلصا صادقا لما اختاره رسول الله سفيرا بعد إسلامه ، فالإسلام يجب ما قبله.

وفي حديث إسلام عمرو وصف إسلامه فقال: وماكان أحد أحب إلي من رسول الله ، ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق ان املأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه، ما اطقت ، لأنني لم اكن املأ عيني منه، هذا هو عمرو بن العاص الصحابي الجليل كما تحدثت عنه المصادر العربية الأصيلة لا كما تذكره مصادر المستشرقين والمراجع الأجنبية ، ولأمرما تحدثت هذه المصادر عن عمرو بن العاص بانحرافات خطيرة يقصد منها النيل من إسلامه وعقيدته ، ولا يجب أبدا عندما نتناول شخصية عظيمة كشخصية عمرو بن العاص أن نستورد التاريخ عنها من المؤلفين الأجانب ، وخاصة، إذا كان انحرافهم واضحا جليا فأهل مكة أدرى بشعابها.

من عجائب القرآن وغرائبه

■ إعداد محمد بن عمر العزوزي/ فاس

■ القرآن الكريم ، دستور المسلمين ، وحجتهم في الدنيا والدين ، وصفه الله بقوله: (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصلت 42، كما وصفه جل وعلا :(هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) آل عمران 138 . 139 ، ووصفه كذلك (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب) إبراهيم 52.

ثم عاب على قوم أعرضوا على تدبر القرآن ، وتفهمه ، والعمل بما فيه ، فقال: « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» سورة النساء :82.

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم:(فيه خبر من قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، أي لا يلحقه البلي بكثرة الترداد والتلاوة ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم ينته الجن إذا سمعته ، أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد) سنن الإمام الدارمي ج :2 الصفحة 294 .295.

فالقران الكريم كلام ربنا ، قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم» حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك ، إنه هو السميع العليم» سورة الدخان. 1 . 8.

أنزله في الليلة المباركة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ، ثم أنزله على نبينا ورسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجما في ثلاثة وعشرين سنة ، ثلاثة عشر منها بمكة ، وعشر سنوات بالمدينة وكل ما نزل قبل الهجرة ، يطلق عليه العلماء: القرآن المكي ، وما نزل بعد الهجرة ، ولو نزل خارج المدينة، يدعوه العلماء المدني.

وجملة ما نزل بالمدينة تسعة وعشرون سورة في النصف الأول وخمس سور متواليات: الفاتحة والبقرة، وآل عمران ، والنساء، والمائدة ، ثم الأنفال والتوبة، ثم الرعد ، وإحدى وعشرون سورة في النصف الثاني ، انظر فنون الأفنان لابن الجوزي ص: 76.

والثمانون مكية ، وعلى الخلاف في خمس سور وهي : القمر ، والرحمان والإخلاص والمعوذتان.

إذن فمجموع سور القرآن: مائة وأربعة عشر سورة على المشهور وأما آياته فستة آلاف ومائةآية ، واختلفوا في الكسر الزائد من أربع آيات إلى ستة وثلاثين آية.

في كتاب (عقد الجواهر الحسان) ص :63 للشريف الطاهري رحمه الله:

عدد آية الكتاب باتفاق
ستة آلاف فعوها يارفاق
والخلف في الزائد قيل ما ثنتان
وأربع ، وقيل غير ذا استبان
الشيخ كنون على الإتقان
نقل ذا وهو ذو إتقان

وأما كلماته فقالوا : سبع وسبعون ألف كلمة ، وتسعمائة كلمة وأربع وثلاثون كلمة : 77934، ومنهم من قال : 79277.

ومن قال غير ذلك.

وأما عدد حروف القرآن ، فقد أجمعوا على ثلاثمائة ألف حرف: 300.000 ، واختلفوا في الكسر الزائد ، فقيل : 304740.

كما شطروا هذه الحروف إلى نصفين ، النصف الأول عند قوله تعالى: (لقد جئت شيئا (نكرا) ، فالنون والكاف من النصف الأول والراء والألف الذي نضع عليه التنوين ،من النصف الثاني ، من لفظة (نكرا). والقرآن ستون حزبا، وكل حزب قسم إلى نصفين 120 نصفا ، كما قسم الحزب. كذلك . إلى أربعة أرباع 240 ربعا، وإلى أثمان 480 ثمنا، ولا يزال قراؤه من العلماء والفقهاء والقراء ،، يبحثون ويستنبطون منه عجائب وأسرار ، لأنه كما قيل : لا تنقضي عجائبه ، وحملة القرآن هم أهل الله فعن سيدنا عبد الله بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسو ل الله صلى الله عليه وسلم قال:» من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه) لهذا لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل، وفي جوفه كلام الله) رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد ، وعن سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:» إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من قرأ ثلاثمائة آية كتب من السابقين)

قال ابن الجوزي رحمه الله : من أراد أن يقرأ سورتين يجمع فيهما ثلاثمائة آية ، فإنهن البقرة والصف ، فالبقرة مائتان وست وثمانون آية، والصف أربع عشرة آية، وكذلك الأنعام وطه ، الأنعام مائة وخمس وستون ، وطه مائة وخمس وثلاثون، كذلك المومنون والصافات فالمومنون مائة وثمان عشر آية ، والصافات مائة واثنتان وثمانون ، وكذلك الشعراء والأحزاب ، فالشعراء مائتان وسبع وعشرون ، والأحزاب ثلاث وسبعون ، قال : وهكذا كله على العدد الكوفي.

قلنا إن عدد آيات القرآن ستة آلاف ، ومائة آية، واختلفوا في الكسر الزائد من أربع آيات إلى ستة وثلاثين آية، وأقصر هذه الأيات ما يتكون من حرفين فقط ، وهن : طه . يس . حم . (غافر) . حم . (فصلت) ، و. حم . (الشورى) ، و . حم . (الزخرف)، و . حم . (الدخان) ،و حم (الجاثية) ، و. حم. (الأحقاف) وكلهن فواتح السور ، وما يتكونون من ثلاثة أحرف ، وهن : (ألم) البقرة، و(ألم) آل عمران ،و(طسم) الشعراء، و(طسم) القصص، و(ألم) العنكبوت، و(ألم) الروم، و(الم) لقمان، و(ألم) السجدة ، و(عسق) الشورى ومايتكون من أربعة أحرف ،(المص) الأعراف واحدة فقط، وما يتكون من خمسة أحرف ، (كهيعص) مريم ، واحدة فقط.

وأربع كلمات أخرى تتكون من حرف قسم ومقسم به، وهن: (والطور)، والفجر) ، والضحى ، والعصر).

وكلمات هن مفاتيح ثلاث سور: (الرحمان) ، (الحاقة) ، القارعة ، ولفظة (مدها متان) حروفها ثمانية ، وهي في الأية 64 من سورة الرحمان.

أطول آية

أما أطول آية في كتاب الله تعالى، وتشتمل على 125 كلمة فهي قوله تعالى» يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه .. «الأية 282 من سورة البقرة ، إلى قوله «والله بكل شيء عليم»

ودراسات أخرى كثيرة من القراء، لتعداد الكلمات ، والأيات التي جاء تكرارها متعددا ومكررا ، وبعضها جعلها هؤلاء القراء في أنصاص ، ويدعونها الأنصاص القرانية.

وهذا نص من الأنصاص التي أحفظها من أيام ، حين كنت اشتغل بحفظ القرآن، والنص في ألفاظ: يك، تك، نك، أك.

بدون نون ، قال ناظمه:

سألتني عن يك تكُ نك مع أك
دون النون في القرآن حي تجملا
في واعلموا يؤدون وتأتي مخلف
يسيروا في غافر ومعا تنزلا
نهيت وياقوم إن هماتك سبع
في واعبدوا دابة، ويوم يأتي لا
وتأتي فحسب من ضعف وياقوم
ولم نك اثنين في المدثر انجلا
ولم أك بغيا غريب في مريم
فيارب وارزقنا رضاك مفصلا

قوله (حي) ثمانية عشر بحساب الحروف الأبجدية ، فالحاء ثمانية والياء عشر = 18.

. الأول : (يك) مبدوء بحرف الياء ، ولانون له، ورد ثماني مرات:

1 . «ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم...» الأنفال 53.

2 . « فإن يتوبوا يكُ خيرا لهم ، وإن يتولوا...» التوبة74.

3 . « إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين» النحل 120.

4 . «أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا» مريم 67

5 . « وإن يك كاذبا فعليه كذبه» غافر 28

6 . وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ، غافر28

7 . « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأو بأسنا» غافر85.

8 . « ألم يك نطفة من مني تمنى» القيامة 27.

ولفظة تك وردت سبع مرات:

1 . « وإن تك حسنة يضاعفها ، ويوت من لدنه أجرا » النساء 40.

2 . « فلا تك في مرية منه إنه الحق » هود 17.

3 . « فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء هود 109.

4 . « ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » النحل 127.

5 . « هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا» مريم 9.

6 . « يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل، لقمان 16.

7 . « قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات» غافر50.

ولفظة نك وردت مرتين:

2.1 .قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم...» المدثر 44.43.

ولفظة أك بهمزة القطع للمتكلم وردت مرة واحدة في قوله تعالى: « قالت أنا يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا مريم 20. وهذه نادرة أختم بها هذا العرض المتواضع.

قيل أن أحدهم خط مصحفا بيده ، بعد أن توضأ وصلى ركعتين ، دعا الله سبحانه وكتب هذه الأبيات الثلاث:

كتبت وقد أيقنت لاشك انني
ستفنى يدي يوما ويبقى كتابيا
ولاشك أن الله سائلها غدا
فياليت شعري ما يكون جوابيا
فإما نعيم في الجنان وراحة
وإما جحيم لا يطاق عذابيا

وأخيرا أسأل الله الهداية والتوفيق.

لمحات ومواقف في حياة الشيخ عبد القادر الجيلاني

■ إعداد الطاهر العروسي

الحلقة الثانية

خاطته في فتحة كُمّ ولدها حتى لا يضيع منه في الطريق ، وكان أهم ما أوصته به التزام خلق الصدق والابتعاد عن الكذب مهما كانت الظروف والملابسات وأن لا ينحرف عن الصراط المستقيم في جميع معاملاته .

وفي ذلك التاريخ وفي تلك الأيام كانت الأسفار متعبة ومحفوفة بالأخطار وقطاع الطرق يتعرضون للمسافرين ليسلبوهم ماعندهم من مال ومتاع ولذلك لم يكن من الممكن سفر الانسان وحده بل لابد له من مرافقة قافله للذهاب معها ، وفيما كانت القافلة متجهة إلى بغداد هجمت عليها العصابة ، وأخذت الطالب عبد القادر للاستنطاق واستجوابه ، فيما إذا كان عنده متاع أو مال.

قال له أحد أفراد العصابة : ماذا عندك ؟ فأجابه على البديهة : ليس عندي شيئ ما عدا أربعين دينارا ذهبية هي زادي في سفري وإقامتي في بغداد فاندهش قطاع الطريق، وظنوه يسخر منهم ، وقالوا : أنت عندك أربعون دينارا ذهبية؟ قال : نعم هي كل ما عندي ، إذا كان الأمر كما تقول، فسر معنا إلى رئيسنا لتعترف بما عندك أمامه ، وأخذوه إلى رئيسهم الذي وجه إليه السؤال على الفور، ماذا عندك؟ عندي أربعون دينارا ذهبية جعلتها لي أمي مخفية داخل سترتي حتى لا يطلع عليها اي كان ، فقالوا في أنفسهم ومع بعضهم بعضا : هذا شاب ساذج فخاطبوه قائلين: ولماذا تعترف امامنا بما عندك ولا تبقيه مستورا ، فأجابهم : لقد أعطيت عهدا لوالدتي وهي توصيني أن لا أكذب أبدا مهما كانت الظروف ، فإذا ما أخفيت عنكم المقدار المالي الذي عندي فإني أكون خنت العهد ، ولم أوف لأمي بما عاهدتها عليه.

كان رئيس قطاع الطريق ومن معه يستمعون باندهاش ما يقوله الطالب عبد القادر الجيلاني ، فكانت اعترافاته الصادقة أمامهم تحرك كمائن نفوسهم ، وبالخصوص رئيسهم الكبير الذي صار يبكي البكاء الشديد ويقول:

هذا طالب شاب اعطى العهد لأمه واوفى بعهده ، ونحن هنا نخون عهد الله ونسيئ ونستولي على أموال المسلمين دون وازع من ضمير ولا خوف من رب العالمين.

ثم تحدث الرئيس مخاطبا الطالب عبد القادر : إنك قادر وأنت طفل على الوفاء بما وعدت به أمك وهي امرأة ، وأنا أخالف جميع القوانين الإلهية منذ سنوات إن معصيتي لله تمزق قلبي ، ولولا ملاقاتك ، لبقيت دائما في طريق الضلال إلى اليوم الذي يستحيل على أي أحد أن يخفي خطاياه ، لقد تيقنت بإن الله قدر لي أن أتوب على يديك فادع الله أن يقبل توبتي، قال الرواة: واحتدى مثال رئيس العصابة أعوانه المتمسكون به فعدلوا عن حياة السرقة والإجرام وارجعوا إلى القافلة كل ما أخذوه منها واستأنف المسافرون سيرهم ومعهم الطالب الشاب عبد القادر وقد أنقذتهم بركة اليمين

(يتبع)

نظرة إجمالية على موضوعات القرآن الكريم

■ إعداد الدكتور محمد منصيف العسري

■ الأمر الجامع بشأن موضوعات القرآن الكريم ، هو أن هذا الكتاب المعجز إنما هو كتاب هداية شاملة ، بما يهم الإنسان في صلاح حاله ومآله ، ومن ثم كان كتابا مبينا ميسرا للذكر لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، عن طريق تدبره والتعلم منه في سبيل تزكية نفوسهم ،ونصوص القرآن الكريم هي نفسها تدعو الناس لقراءته وتدبره للاستفادة من أحكامه وأمثاله وقصصه وغير ذلك ، للارتفاع والسمو في درجات العلم والإيمان ، ولذلك فالإنسان في حاجة مستمرة لتدبر كلام الله تعالى ، حتى يتمكن هذا الإنسان من أداء المهمة المنوطة به وهي الاستخلاف في الأرض.

وقبل أن نتناول بإيجاز أبرز الموضوعات التي يهتم بها القرآن الكريم ، لابدمن التأكيد على أن هذا الكتاب كامل، كما قال تعالى » ما فرطنا في الكتاب من شيء « (سورة الأنعام.الآية:38) فما أجمل منه في موضع تم تفصيله في موضع آخر، ومالم يذكر في مكان فقدتم ذكره في مكان آخر ، وما على الإنسان إلا أن يبذل جهده في سبيل إدراك البيان القرآني، على أن هذا لاينفي ما في السنة النبوية من بيان للقرآن الكريم.

ولما كان القرآن الكريم هو الدستور الخالد للأمة الإسلامية، فإننا نجد فيه ثراء واتساعا في الموضوعات والقضايا التي عالجها، وسنكتفي هنا بإلقاء نظرة إجمالية على أبرز تلك الموضوعات والقضايا.

فأول وأهم الموضوعات التي يبينها القرآن هي العقائد الصحيحة التي يجب التصديق بها تصديقا جازما ، ممثلة في الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله عليهم الصلاة والسلام واليوم الآخر وما يتضمنه من حساب وجزاء مع الإيمان بالقضاء والقدر ، وهذه العقائد هي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، لقول الله تعالى » آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله « (سورة البقرة.الآية:285) ، وقوله سبحانه »قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» (سورة آل عمران.الآية:64) .

ويتبع الإهتمام بالعقائد بيان الأخلاق الفاضلة ، بما يؤدي إلى تهذيب النفوس لأجل تحقيق مصلحة الفرد والجماعة، وبمقابل بيان القرآن الكريم لتلك الأخلاق نجده يحذر من الأخلاق السيئة والفاسدة التي ينتج عن انتشارها في المجتمع ضياع الفضيلة وتكريس الرذيلة بما يؤدي إلى الشقاء في حياة الناس، ولذلك ينبهنا القرآن إلى ضرورة تطهير النفس وتزكيتها في قول الله عز وجل »ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها « (سورة الشمس الآيات 7 ،8 ،10) ، كما يؤكد على التزام العفة والاحتشام وغض البصر، حيث قال تعالى» قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون» (سورة النور.الآية:30) ومن الأخلاق الفاضلة التي حض عليها القرآن ، ضرورة التزام الصدق كما في قوله تعالى» يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» (سورة التوبة.الآية:119) ، وقوله سبحانه » يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا» (سورة الأحزاب.الآية:70) .

ومن القضايا البارزة التي اهتم بها القرآن الكريم أيضا، إرشاد الناس إلى التأمل والنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من مخلوقات ،للتعرف على أسرار الله في خلقه وإبداعه في هذا الكون ، فتمتلئ القلوب إيمانا بعظمة الخالق سبحانه وتعالى عن نظر واستدلال لا عن مجرد تقليد، ومن ثم نعى القرآن الكريم على الذين يقلدون آباءهم وأجدادهم في عقائدهم وعاداتهم السيئة معطلين عقولهم عن أداء وظيفتها في التفكير والنظر والتبصر ، كما قال الله تعالى»أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء» (سورة الأعراف.الآية:185) . والقرآن بإرشاده إلى هذا النظر قد فتح للناس مجالا رحبا للبحث في أسرار العالم الذي يعيشون فيه ليكتشفوا سننه فينتفعوا بها ويستخدموها في تعمير الأرض، إلا أن الملاحظ أنه برغم إرشادالقرآن إلى استعمال هذا النظر العقلي وما يتضمنه من دعوة إلى الاهتمام بالعلم النافع بشتى أنواعه ، فإن المسلمين في هذا العصر لم يهتموا بهذا الجانب الاهتمام المطلوب ولم ينتفعوا بدعوة القرآن إليه.

ومن الموضوعات التي اهتم بها القرآن الكريم اهتماما واضحا . ما نجده فيه من سرد لقصص الأنبياء وغيرهم من السابقين أفرادا وأمما، وقد نص القرآن نفسه على اهتمامه بهذا المجال ، ومن ذلك قوله تعالى »نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القران وإن كنت من قبله لمن الغافلين» (سورة يوسف.الآية:3) وبين سبحانه وتعالى أهداف سرد تلك القصص فقال عز وجل » وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين» (سورة هود.الآية:120) ، وقال أيضا» لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون» (سورة يوسف.الآية:111) فمقصد القرآن من ذكر القصص هو التنبيه على سنن الله في معاملة خلقه الصالحين منهم والمفسدين، تثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وعبرة لمن يعتبر من ذوي العقول السليمة ، ومن ثم فلا يجوز أن نشغل أنفسنا بالخوض في تلك القصص بما لم يرده الله تعالى من ذكرها في القرآن، حتى لا نصرف أنفسنا والناس من حولنا عن مقصد أخذ الموعظة منها والاعتبار بها فنحرم من فائدتها.

وبالإضافة إلى الموضوعات السابقة فإن القرآن الكريم قد أولى عناية كبيرة للأحكام العملية التي تتصل بما يصدر عن الإنسان من تصرفات قولية أو فعلية، سواء فيما يتعلق بالشعائر التعبدية أو ما يخص المعاملات الإنسانية ، ففي الأولى نجد فيه مجموعة من الآيات المتعلقة بالصلاة والزكاة والصوم والحج، مثل قول الله تعالى» إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا» (سورة النساء.الآية:103) وقوله سبحانه » ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» (سورة آل عمران.الآية:97) وأما الثانية المتعلقة بالمعاملات، فإننا نجد في القرآن عدة آيات تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان سواء في مجال العلاقات الفردية أو العلاقات الاجتماعية الواسعة وصولا إلى علاقة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم، وأمثلة هذا القسم من الآيات كثيرة نكتفي منها بهذه الآية الجامعة وهي قوله عز وجل» إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا « (سورة النساء.الآية:58) . والملاحظ أن آيات الأحكام الواردة في القرآن الغالب فيها أنها نصوص عامة تتضمن أحكاما كلية ، مع وجود بعض الأحكام التفصيلية التي تتميز بالثبات فتوخى الشارع أن تبقى بعيدة عن الاجتهاد المؤدي إلى الاختلاف فيها ، وبناء على ذلك فإن النظر في القرآن الكريم ابتغاء أخذ الأحكام الشرعية منه ، ينبغي أن ينطلق فيه من استنباط الأحكام الكلية وصولا إلى استخراج الأحكام الجزئية التي تتفرع عن تلك الكليات.

وفي ختام هذه النظرة الإجمالية نؤكد على أن القضية الأساسية التي عالجها القرآن الكريم وكونت مضمون بيانه الكلي العام، هي قضية تصحيح العقائد والسلوكات، ومن ثم كان الناس في حاجة دائمة إلى تدبر آيات هذا الكتاب المجيد ومدارستها ليزدادوا علما وإيمانا.

العوامل الداعية إلى زواج معتنق الإسلام بالمغرب وآثار ذلك على الأسرة

■ إعداد الأستاذ: جمال الدين بن العربي

■ منذ أن دخل الإسلام إلى المغرب والمغاربة يطبقون أحكامه في سائر معاملاتهم وعلاقاتهم ، خاصة ما يتعلق منها بالأحوال الشخصية ، وقد اختار المغاربة المذهب المالكي فأصبح المذهب الوحيد الذي يرجع إليه القضاة في أحكامهم.

لكن لما ابتلي المغرب بالحماية الفرنسية بدأ مجال الفقه المالكي يتقلص شيئا فشيئا، لذلك تم إحداث لجنة تقوم بوضع مدونة الفقه الإسلامي خاصة في مجال الأحوال الشخصية ، وقد تم ذلك مباشرة بعد الاستقلال بموجب ظهير 19 غشت 1957 وهي اللجنة التي حررت مشروع المدونة في 297 مادة.

وإذا كان جمع أحكام الأحوال الشخصية المبعثرة في الكتب الفقهية في نص تشريعي يعد عملا إصلاحيا هاما إلا أنه جاء ناقصا لإغفاله معالجة موضوعات ذات أهمية في عقد الزواج ، كزواج المغاربة وطلاقهم بالخارج، وزواج معتنقي الإسلام، لولا تدخل وزارة العدل وتنظيم مسطرته بواسطة مناشير متلاحقة بعدما تبين لها أن زواج معتنقي الإسلام يرتب آثارا على الأسرة المغربية، وبعدما وقفت على العوامل التي تدفعهم للزواج.

العوامل الداعية إلى زواج معتنقي الإسلام بالمغرب

لقد حددت مدونة الأسرة في مادتها الرابعة المرامي والمقاصد النبيلة التي يجب تحقيقها من وراء الزواج بقولها «الزواج ميثاق تراض وترابط شرعي بين رجل وامرأة على وجه الدوام غايته الإحصان والعفاف وإنشاء أسرة مستقرة ، برعاية الزوجين طبقا لأحكام هذه المدونة ، فمن هذه التعريف يتضح أن المدونة لم تحصر الزواج في مجرد كونه عقد ، بل تعدته إلى اعتباره مؤسسة تكتسي أهمية قصوى في بناء النواة الأساسية للمجتمع ، ولذلك فإن وزارة العدل عندما أصدرت مناشيرها المتعلقة بزواج معتنقي الإسلام تكون قد راعت هذه الأهمية.

والعوامل الداعية التي تقف وراء زواج معتنقي الإسلام بالمغرب عديدة وكثيرة منها ماهو اجتماعي ومنها ما هو نفسي ، وكذلك اعتبارات اقتصادية، إلا أن المتتبع بهذا الزواج يلحظ أن المعتنقين للإسلام الذين يلفظون الشهادة فقط حينما يتم الزواج وليس قبله يجدون بعض الممارسات الدالة على أن الإيمان لم يكتمل لدى هؤلاء ، ولكن لايمكن نفي الإسلام عنهم، بل الأمر يحتاج إلى دراسة ميدانية تسبر أغواره وتؤكد بالارقام والحالات الدالة على ازدياد الظاهرة واتساعها ، وسنذكر سببين اثنين اعتبرهما هامين في القول بعدم جدية بعض الأنكحة التي يبرمها من يعتنقون الإسلام والذين تبدوا إرهاصات ذلك عليهم وآثاره السلبية بمجرد السفر بزوجته إلى خارج المغرب أو بتغير سلوكه في الفترات الموالية للزواج داخل المغرب.

وسيلة للتملص من قانون البلد الأصلي

توجد مجموعة من الدول التي تفرض قوانينها شروطا قاسية في مجال الأحوال الشخصية ، فالمذهب الكاثوليكي مثلا يحرم الطلاق تحريما باتا ، ولا يبيحه لأي سبب، وحتى الخيانة الزوجية لا تعتبر مبررا في الطلاق ، وكل ما يبيحه هو التفرقة الجسمانية بين الزوجين مع اعتبار الزوجية قائمة من الناحية الشرعية ، ويعتمد القانون الكاثوليكي على ما جاء في انجيل مرقس على لسان المسيح إذ يقول « فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان...» كما أن المذهبان البروتستاني والأرتودكسي لايبيحان الطلاق إلا في حالات معينة لا يجوز للرجل والمرأة بعد ذلك أن يتزوجا».

كذلك نجد بعض القوانين الأخرى التي تمنع تعدد الزوجات، فهناك حالات يصعب فيها على الزوج التخلي عن زوجته العقيمة المريضة مرضا خطيرا فيقبل على التعدد لكنه يواجه بالرفض من طرف القضاء في بلاده مما يضطره والحالة هذه إلى اعتناق الإسلام والزواج طبقا لأحكامه السمحة التي تبيح التعدد بشرط العدل بين الزوجات وتبيح الطلاق رغم أنه أبغض الحلال إلى الله.

لكن هناك حالات يكون فيها معتنق الإسلام غير جاد في إسلامه، وإنما يتخذ ذلك للتهرب من قانون بلده ، وقد نبه منشور لوزارة العدل (عدد 95/6) إلى هذا الأمر في مقدمته بالتحذير من مثل هذا الزواج حيث أكد أن بعض الزواج المختلط قلما يهدف إلى تحقيق المقاصد الدينية ، وفق الشريعة الإسلامية وإنما يتخذ كوسيلة لتحقيق مآرب مادية ، وضرب المنشور أمثلة تتعلق بالحصول على جواز السفر والتأشيرة أوامتداد نية الزوج الأجنبي إلى غايات أخرى تمس بالأمن والنظام العامين ، ولهذا أقر المنشور كما قال : تفاديا لما ينتج عن الزواج المختلط بصفة عامة ، سواء كان الطرف الأجنبي ذكرا أو أنثى ، من آثار وخيمة تمس بالجانب الأمني والنظام العام لبلادنا ». إلزامية منح الإذن بالزواج معتنقي الإسلام في جميع الحالات التي يكون فيها أحد طرفي العقد أجنبيا سواء أريد إبرامه ابتداء أو كان القصد إثباته ببينة شرعية.

ورغم أن الجانب الإداري والمؤسساتي الذي يفرضه القانون المغربي فإنه لا يضمن زواجا مصونا وإرادة حسنة للمعني بالأمر باعتبار النية لا يعلمها إلا الله والآثار السلبية لما بعد الزواج غير مضمونة.

التحايل على القانون المغربي الذي يمنع زواج المسلمة بغير المسلم

أجمع الفقهاء المسلمون على أنه يحرم على المرأة المسلمة أن تتزوج رجلا غير مسلم سواء كان مشركا أو كتابيا ، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الممتحنة (آية 10) ، ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن» ، فالله سبحانه وتعالى يبين بأنه لا يحل للمؤمنات نكاحهن للكفار كما لا يحل لهم نكاحهن ولفظ الكفار عام يشمل عدا المسلمين، من أهل الكتاب وغيرهم، وقال تعالى أيضا في سورة البقرة (آية 221) «ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا» ففي الآية الكريمة نهي عن نكاح المؤمنات للمشركين ، والنهي يؤكد فساد ما نهي عنه.

والحكمة من هذا التحريم هو المحافظة على مصلحة الأسرة بصفة عامة ، ومصلحة الزوجة بصفة خاصة، فعقد الزواج يستتبع بأن يكون للرجل حق الطاعة والقوامة على زوجته، والشريعة الإسلامية تأبى أن تكون المسلمة تحت سلطان الكافر ويخشى أيضا من إذاية غير المسلم للمسلمة بسب دينها وتحقيره، وقد يتعصب لدينه فيدفعها ذلك مرضاة لزوجها إلى ترك دينها، وهذه الأمور تتنافى مع طبيعة الحياة الزوجية السعيدة التي ينشدها الإسلام، بالإضافة إلى أن الأولاد يتبعون آباءهم في الدين والنسب ، وفي مثل هذا الزواج تعريض لأبناء المسلمة للكفر بالله تعالى .

وهذه أمور لا يرضاها الإسلام للزوجة المسلمة ، لذلك كانت القاعدة الإسلامية تقضي بأنه لاولاية للكافر على المسلم، وقد اعتبرت مدونة الأسرة في الفقرة الرابعة من المادة 39 هذا المانع مؤقتا بالقول « موانع الزواج مؤقتة هي : 1...4. زواج المسلمة بغير المسلم ، والمسلم بغير المسلمة مالم تكن كتابية...»

لهذا يبقى الكافر الذي يرغب في الزواج من المسلمة بين أمرين لا ثالث لهما:

إما التقدم للزواج وفي هذه الحالة يتعين عليه اعتناق الإسلام وفق المستلزمات المنصوص عليها في المغرب ، وحتى لا يواجه المنع الذي تقره الفقرة الرابعة من المادة 39 من مدونة الأسرة ، وإما البقاء على ملته وهنا يحرم عليه تحريما مطلقا الزواج من المسلمة طالما بقي في ملته . ورغم أن الوثائق التي أشار إليها المنشور عدد 854 الأنف الذكر ورفع الأمر إلى الوكيل العام فإن ذلك لا يساعد في حالات عديدة على الوصول إلى الحقيقة وإدراك جدية أو عدم جدية المعني بالأمر في اعتناقه الإسلام .

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1094
السنة38
الجمعة 4 ذو القعدة 1425 هـ
الموافق 17 دجنبر 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي: ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي: 25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

رتب المصالح والمفاسد من خلال كتاب "قواعد الأحكام في مصالح الأنام"

فصل في بيان رتب المصالح

وهي ضربان: أحدهما : مصلحة أوجبها الله عز وجل نظرا لعباده وهي متفارتة الرتب منقسمة إلى الفاضل والأفضل والمتوسط بينهما. فأفضل المصالح ما كان شريفا في نفسه دافعا لأقبح المفاسد جالبا لأرجح المصالح، وقد سئل عليه السلام أي الأعمال أفضل؟ فقال: "إيمان بالله". قيل: ثم أي؟قال: "الجهاد في سبيل الله". قيل: ثم أي؟ قال: "حج مبرور" جعل الإيمان أفضل الأعمال لجلبه لأحسن المصالح ودرئه لأقبح المفاسد مع شرفه في نفسه وشرف متعلقه. ومصالحه ضربان: أحدهما: عاجلة وهي إجراء أحكام الإسلام، وصيانة النفوس والأموال والحرم والأطفال. والثاني: آجلة وهو خلود الجنان ورضاء الرحمان، وجعل الجهاد تلو الإيمان لأنه ليس بشريف في نفسه وإنما وجب وجوب الوسائل. وفوائده ضربان: أحدهما: مصالحه وهي منقسمة إلى العاجل والآجل.

فأما مصالحه العاجلة: فإعزاز الدين ومحق الكافرين وشفاء صدور المؤمنين من اغتنام أموالهم وتخميسها وإرقاق نسائهم وأطفالهم، وأما مصالحه الآجلة: فالأجر العظيم قال الله تعالى: (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) النساء/الآية:74، فجعل الأجر العظيم للقتلى والغالبين، والغالب أفضل من القتيل لأنه حصل مقاصد الجهاد وليس القتيل مثابا على القتل لأنه ليس من فعله وإنما يثاب على تعرضه للقتل في نصرة الدين. الضرب الثاني من فوائد الجهاد: درؤه لمفاسد عاجلة: وآجلة، أما الآجلة فلأنه سبب لغفران الذنوب والغفران دافع لمفاسد العقاب، وأما العاجلة فإنه يدرأ الكفر من صدور الكافرين إن قتلوا أو أسلموا خوفا من القتل، وكذلك يدرأ استيلاء الكفار على قتل المسلمين وأخذ أموالهم وإرقاق حرمهم وأطفالهم وانتهاك حرمة الدين. وجعل الحج في الرتبة الثالثة لانحطاط مصالحه عن مصالح الجهاد وهو أيضا يجلب المصالح ويدرأ المفاسد. أما جلبه للمصالح فلأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وأما درؤه للمفاسد فإنه يدرأ العقوبات بغفران الذنوب. قال صلى الله عليه وسلم: "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" ولاتزال رتب المصالح الواجبة التحصيل تتناقص إلى رتبة لو تناقصت لانتهينا إلى رتب المصالح وكذلك تتفاوت رتب فرض الكفاية فيما تجلبه من مصلحة أو تدرؤه من القتال الدفع أفضل من قتال الطلب، ودفع الصوال عن الأرواح والأبضاع أفضل من درئهم عن المنافع والأموال، وكذلك تفاوت رتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتفاوت رتب المأمور به في المصالح والمنهي عنه في المفاسد.

الضرب الثاني من رتب المصالح: مانذب الله عباده إليه إصلاحا لهم، وأعلى رتب مصالح الندب دون أدنى رتب مصالح الواجب وتتفاوت إلى أن تنتهي إلى مصلحة يسيرة لو فاتت لصادفنا مصالح المباح، وكذلك مندوب الكفاية يتفاوت بتفاوت رتب مصالحه وفضائله.

فائدة في مصالح المباح: مصالح المباح عاجلة بعضها أنفع وأكبر من بعض ولا أجر عليها، فمن أكل شق تمرة كان محسنا إلى نفسه بمصلحة عاجلة ومن تصدق بشق تمرة كان محسنا إلى نفسه بمصلحة آجلة، وإلى الفقراء بمصلحة عاجلة، ومن أتى مصلحة أخروية قاصرة عليه كان له أجرها وذخرها، ومن أتى مصلحة متعدية كان له أجرها ولمن تعدت إليه أجرها الأجل إن كانت في دينه وكان نفعها العاجل إن كانت في دنياه.

فصل في بيان رتب المفاسد

وهي ضربان: ضرب حرم الله قربانه، وضرب كره الله إتيانه. ولمفاسد ما حرم الله قربانه رتبتان: أحدهما: رتبة الكبائر وهي منقسمة إلى الكبير والأكبر والمتوسط بينهما، فالأكبر أعظم الكبائر مفسدة. وكذلك الأنقص فالأنقص ولاتزال مفاسد الكبائر تتناقص إلى أن تنتهي إلى مفسدة لو نقصت لوقعت في أعظم رتب مفاسد الصغائر وهي الرتبة الثانية. ثم لاتزال مفاسد الصغائر تتناقص إلى أن تنتهي إلى مفسدة لو فاتت لانتهت إلي أعلى رتب مفاسد المكروهات. وفي الضرب الثاني من رتب المفاسد، ولاتزال تتناقص مفاسد المكروهات إلى أن تنتهي إلى حد لو زال لوقعت في المباح. وقد أبان صلى الله عليه وآله وسلم من تفاوت الكبائر ثلاث مراتب: إذ سئل عليه السلام أي الذنوب أكبر؟ فقال: "أن نجعل لله ندا وهو خلقك"قيل: ثم أي؟ قال: "أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك". قيل: ثم أي؟ قال: "أن تزاني حليلة جارك" جعل الكفر أكبر الكبائر مع قبحه في نفسه لجلبه لأقبح المفاسد ودرئه لأحسن المصالح فإنه يجلب مفاسد الكفر ويدرأ مصالح الإيمان. ومفاسده ضربان: أحدهما عاجلة وهي إراقة الدماء وسلب الأموال وإرقاق الحرم والأطفال. الضرب الثاني آجلة وهي خلود النيران مع سخط الديان. وأما درؤه لأحسن المصالح فإنه يدرأ في الدنيا عن المشركين التوحيد والإيمان وعن الإسلام والأمن من القتل والسبي واغتنام الأموال، ويدرأ في الأخرة نعيم الجنان ورضا الرحمن.

وجعل قتل الأولاد تاليا لاتخاذ الأنداد لما فيه من الإفساد وقطع الأرحام والخروج من حيز العدالة إلى حيز الفسوق والعصيان مع التعرض لعقاب الأخخرة وتغريم الدية والكفارة والانعزال عن الولاية التي تشترط فيها العدالة. وجعل الزنا بحليلة جاره تلو قتل الأولاد لما في ذلك من مفاسد الزنا كاختلاف المياه واشتباه الأنساب وحصول العار وأذية الجار والتعرض لحذ الدنيا أو لعقاب الأخرة والانتقال من حيز العدالة إلى حيز الفسوق والعصيان والانعزال عن جميع الولايات.

فصل

تنقسم المصالح والمفاسد إلى نفيس وخسيس ودقيق وجل وكثر وقل وجلي وخفي وآجل أخروي وعاجل دنيوي. والدنيوي ينقسم إلى متوقع وواقع ومختلف فيه ومتفق عليه. وكذلك ترجيح بعض المصالح على بعض وترجيح بعض المفاسد على بعض ينقسم إلى المتفق عليه والمختلف فيه فالسعيد من فعل ما اتفق على صلاحه وترك ما اتفق على فساده. وأسعد منه من ضم إلى ذلك فعل ما اختلف في صلاحه وترك ما اختلف في فساده.

فإن الاحتياط لحيازة المصالح بالفعل ولاجتناب المفاسد بالترك وقليل من يفعل ذلك، وقد يعبر عن القليل بالمعدوم. فمن المصالح والمفاسد مايشترك في معرفته الخاصة والعامة ومنها ماينفرد بمعرفته الخاصة ومنها ماينفرد بمعرفته خاصة الخاصة، ولايقف على الخفي من ذلك كله إلا من وفقه الله بنور يقذفه في قلبه وهذا جار في مصالح الدارين ومفاسدهما، وفي مثله طال الخلاف والنزاع بين الناس في علوم الشرائع والطبائع، وتدبير المسالك والمهالك، وغير ذلك من الولايات والنيات وجميع التصرفات، ولأجل الاختلاف في ذلك منع الشرع من نصب الخليفتين لما يقع بينهما من الاختلافات في الصالح والأصلح والفاسد والأفسد، وفي ترجيح المصالح والمفاسد لأنه لو جوز نصبهما لتعطل تحصيل ماخفي من المصالح واجتناب ماخفي من المفاسد، وكذلك ترجيح الخفي. وأما نصب القضاة مع اختلافهم في الأحكام فيجوز لأن مصالح القضاء خاصة ومصالح الخلافة عامة، ويتعذر نصب قاض واحد لجميع الناس ولاشك أن نصب القضاة والولاة من الوسائل إلى جلب المصالح العامة والخاصة، وأما نصب أعوان القضاة والولاة فمن وسائل الوسائل وكذلك الوسائل الإلهية وسائل إلى تحصيل مقاصد الشرائع وهي من أفضل الوسائل، وكذلك تحمل الشهادات وسيلة إلى أدائها وأداؤها وسيلة رلى الحكم بها والحكم بها وسيلة إلى جلب المصالح ودرء المفاسد.